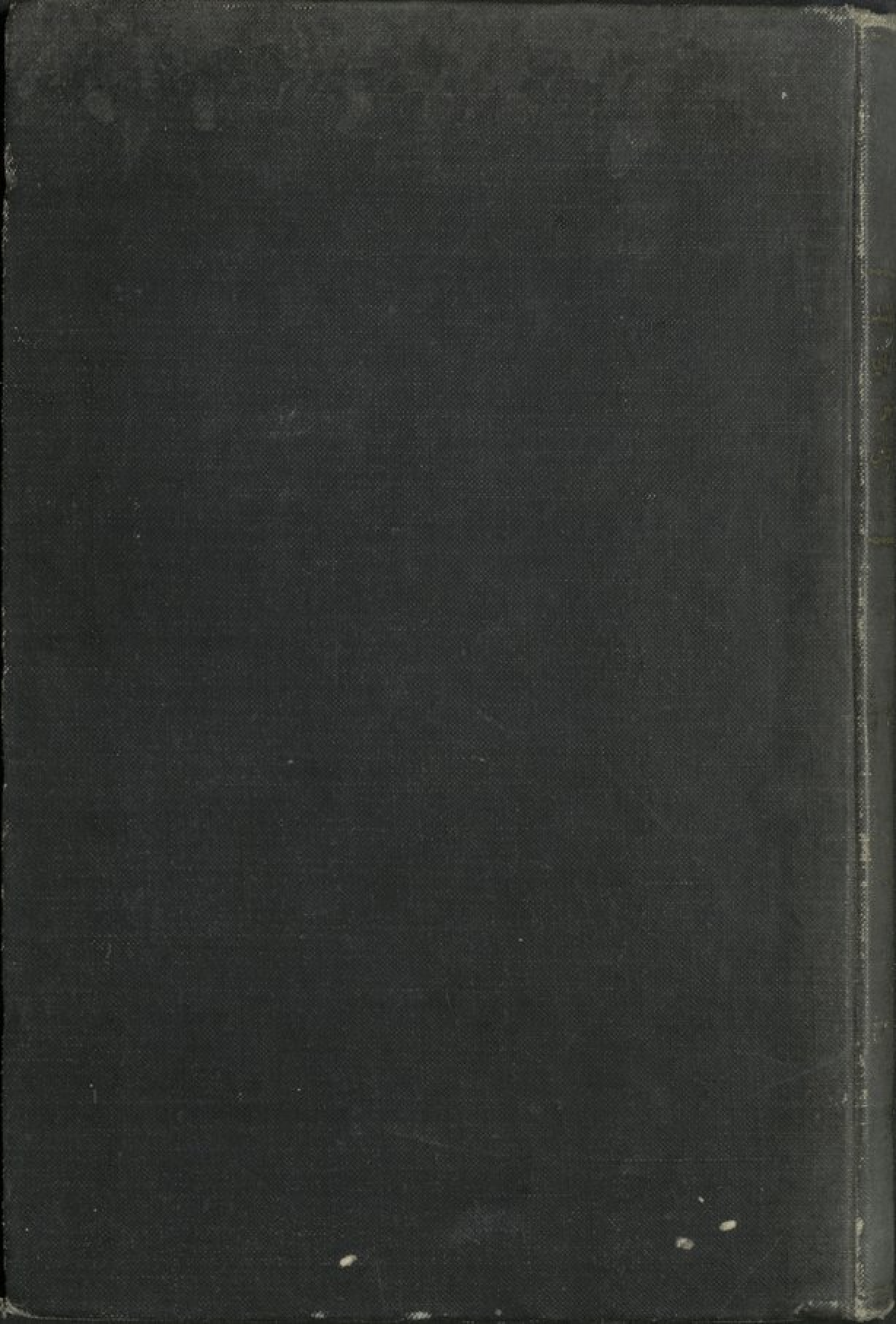
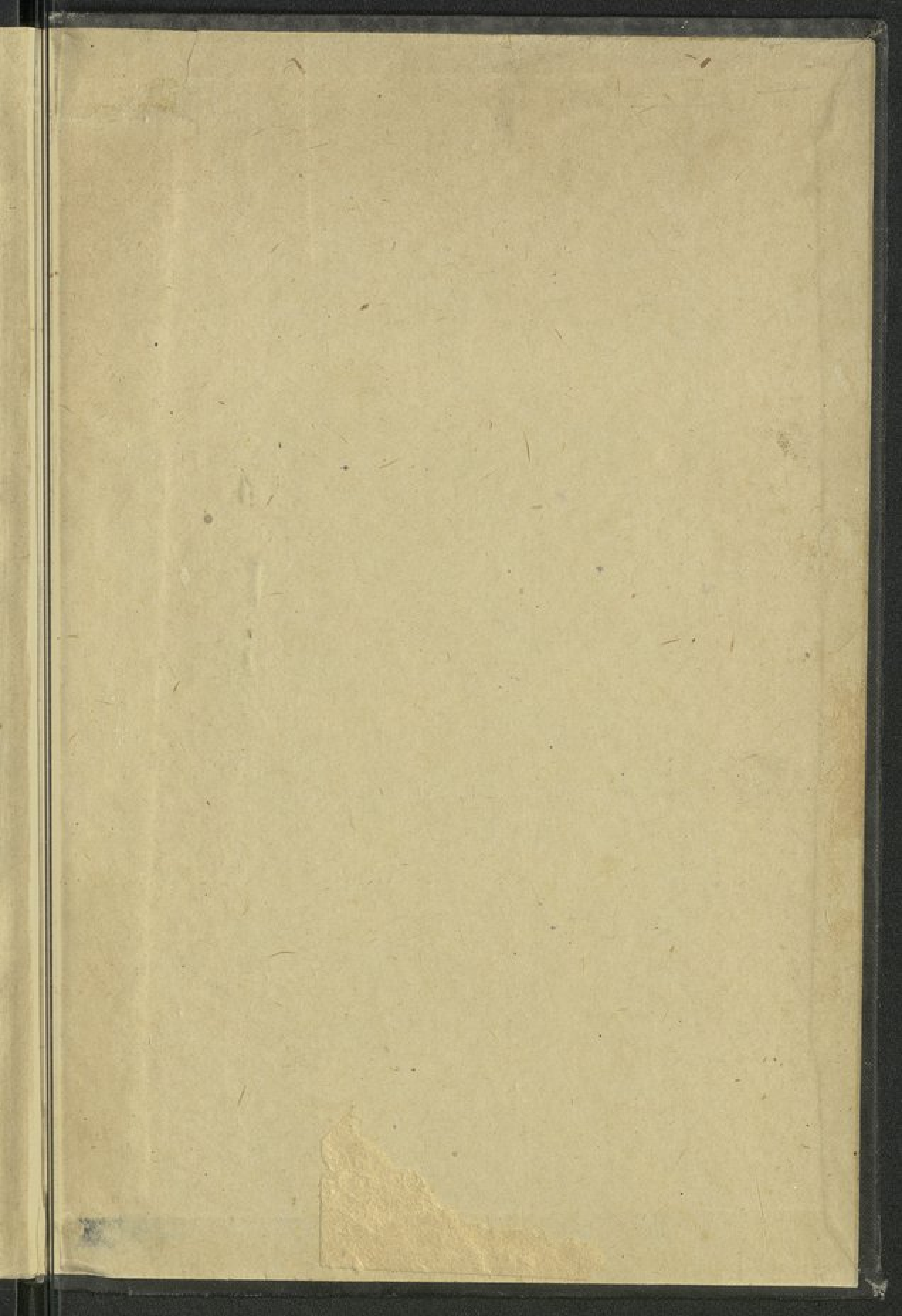
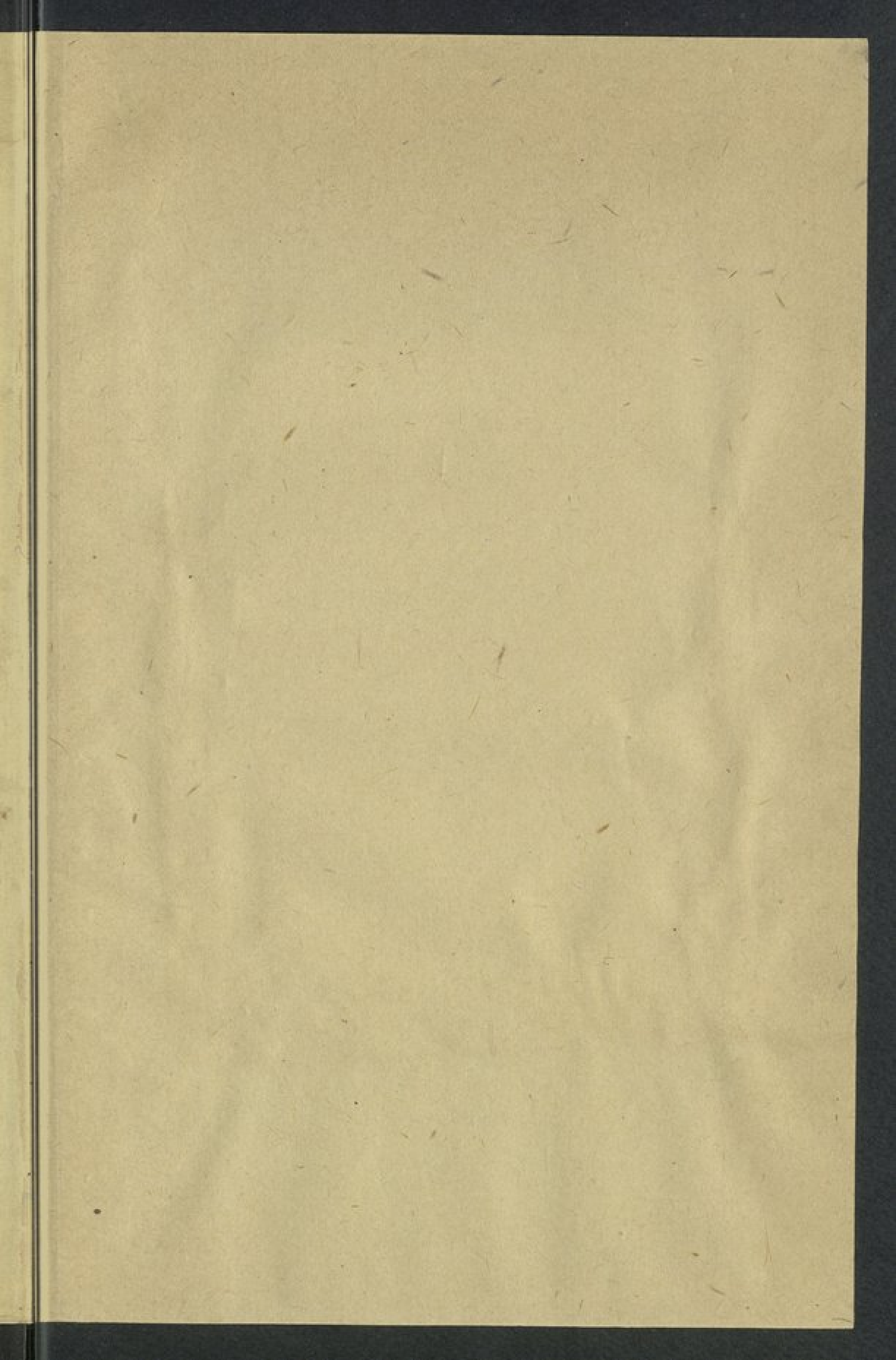






محمد لطفى جمعة

حروب الأرض وسلامها

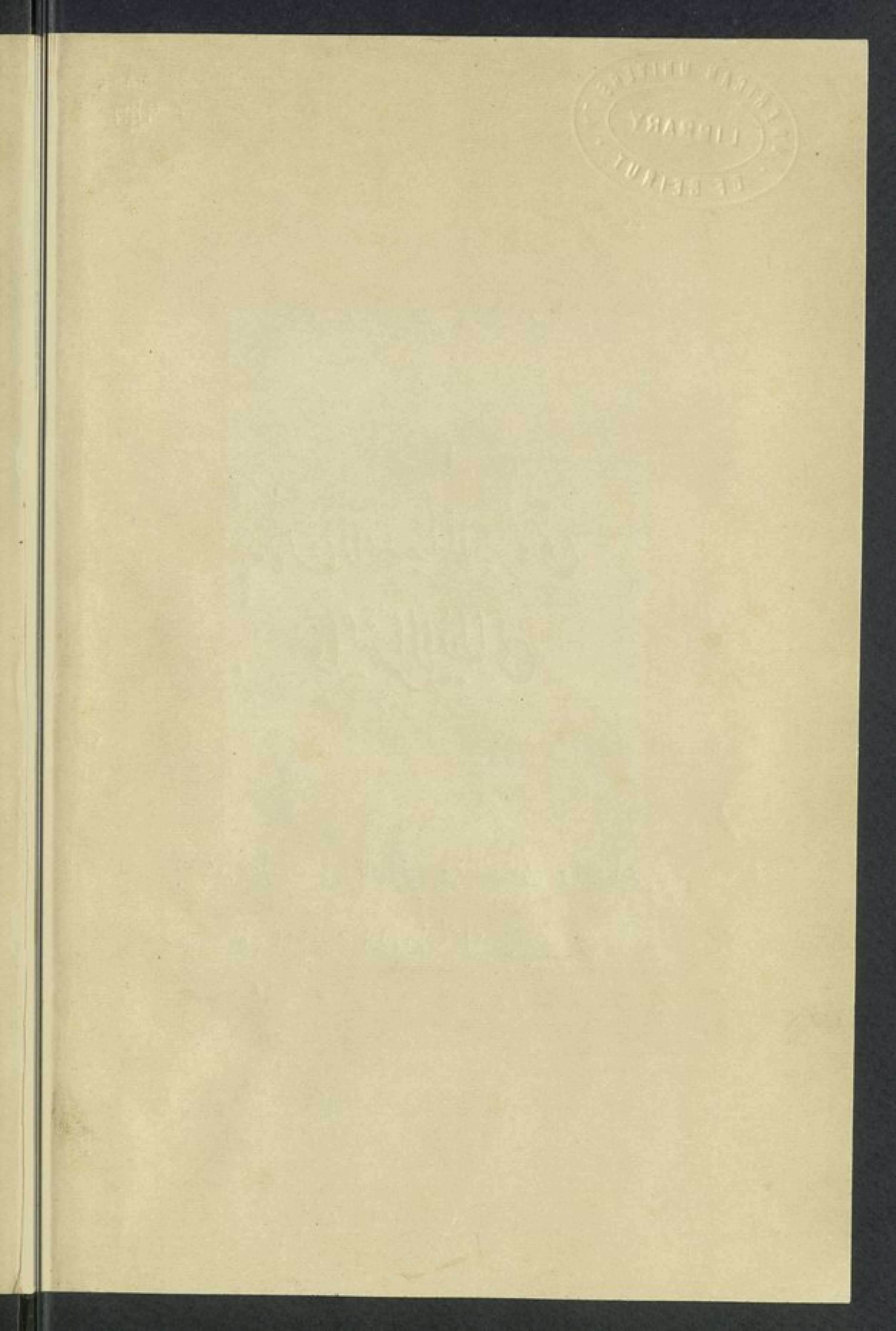
# بين الأسد الأفريقى والنمر الايطالى

بحث تحليلى تاريخى ونفسانى واجتماعى

فى المشكلة الحبشية الايطالية



مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

بلاد اثيوبيا هى الوطن الوحيد المستقل فى القارة السوداء ، وما وصفت افريقية بالسواد نسبة إلى لون أرضها أو أهلها ، ولكن لكثرة مجاهلها وخوافيها وإلا فانه لا شمس تشرق فى الآفاق ، ولا ضوء يتلألأ فى الأرجاء ، ولا صحو يملأ الأجواء ، مثل شروق شمسها وتلألؤ ضوءها ، وصفاء سمائها . ولا خضرة أزهى وأزهر ، ولا خصوبة أغنى وأثمر من التى تشاهد فى غابها وحراجها ، وفى حقولها ومزارعها ، ولا غِنى فى ظاهر الأرض و باطنها كالغنى الذى أنعم الله به على أهل تلك القارة السعيدة من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها فَعُدت من أغنى بقاع الأرض معدناً وزرعاً وضرعاً(1) .

وقد حبتها الطبيعة بمنابع أربعة من أكبر أنهار الأرض وأغزرها ماء وأجلبها للخير . أعظمها نهر النيل ، ذى الوادى الخصيب الذى نعمره ونمرح فى خيراته ونفاخر به .

وفى موضع القلب من هذه القارة ، تقع اثيوبيا أو الحبشة ، وما الحبشة سوى هضبة جبلية شامخة الارتفـاع تنحدر كالدرج نحو سهول السودان وبحر القلزم ، ومن صميم فؤادها ينبع النيل الأزرق ، وعلى سفوح جبالها تنمو أشجار الفواكه الجميلة ، وشجيرات البن الخضراء . وجوف أرضها حاشد بالمعادن

(1) ثبت للباحثين أن حول بحيرة تانا توجد مناجم ذهب وبلاتين وماس وياقوت وزمرد

النافعة ، وأهلها قوم ذوو بأس شديد يميلون للحرب و يبذلون أرواحهم فى سبيل الدفاع عن وطنهم ، وقد حافظوا على حريتهم واستقلالهم منذ نشأتهم إلى يومنا هذا ولم يناصبهم العداء فى العصر الجديد سوى المصريين والطليان فهُزموا وانسحبوا

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من أوربا ووقوع ساحلها الشمالى موازياً لساحل أوربا الجنوبى على مسافة ألف ميل ، وذلك لأن رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا والبرتوغال يشحن بأوجههن عنها ، و يتزاحمن على الاستعمار فى أطراف أميركا والهند السحيقة وانما قصدن إلى افريقية للاتجار بالرقيق فيها .

أما الآن فقد أصبح معظم القارة معروفاً بفضل أهل السياحة من قدماء المصريين والعرب والافرنج الذين جاسوها طولاً وعرضاً . فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً فيها سوى بقع صغيرة متفرقة لا بد أن تكشف قريباً .

ومما يزيدنا أسفاً وألماً وحسرة على قارتنا أن دول أوربا ضمت كل شبر منها إلى أملاكهن بالطرق السياسية ، و بذل الأموال والهدايا لحكام البلاد وزعمائها والخونة من أهاليها والالتجاء إلى بعض الحيل التى أملاها دهاء رواد الاستعمار ، وانطلت على أذهان البسطاء ، وقد سميت وسائل الاغتصاب التى انطوت عليها مكايد هؤلاء المغيرين طرقاً سلمية ، لأنها لم تكلف المغيرين لا معارك ولا مواقع ما عدا المغرب الأقصى والحبشة على حين أن استعمار أمريكا والهند كلفهن ألوف الرجال و بدرات الأموال[1]

وقد شرع المصريون الأقدمون فى الأسفار من عهد الدولة السادسة لكشف أفريقيا وكان أمراء جزيرة الفنتين يتعدون الحدود الجنوبية ومهدوا الطريق بين

(١) سمى هــذا الاستعمار " dépecement " وسميت الوسائل المذكورة poitlique d'infiltration.

أصوان ورأس بناس ( على البحر الأحمر ) وكانت السفن المصرية تمخر البحر الأحمر حينئذ وكانوا يسمون سكان البلاد إلى جنوبى أسوان باسم « الرماة » والذين إلى جنوبهم باسم المتلعثمين أو الأعاجم لأنهم لم يكونوا يتكلمون اللغة المصرية وقالوا أن وراء أرض المتلعثمين الأرض المباركة التى تفيض الخيرات ووراءها البحر الجنوبى الذى يجرى منـــه النيل وتطفو عليه الجزر . وانتهت الرحلات المصرية القديمة فى سبيل إكتشاف أفريقيا فى أيام الدولة السادسة ومنها سياحة أردودو وسياحة خركوف وحدثت كل هذه الأمور منذ أكثر من خمسة آلاف سنة حينما كان أهالى أوربا يأوون إلى الكهوف والبحيرات ويسترون أبدانهم بجلود الثعالب والأنعام .

وذكر بلينيوس المؤرخ الرومانى سنة ٧٠ للمسيح أن التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك أفريقية الشرقية وجزرها وكان لهم عليها شىء من السلطة وكانوا يتجرون مع أهلها بالأفاويه والطيوب .

ولما ظهر الإسلام رحل كثيرون من العرب فى القرنين الأولين للهجرة إلى سواحل إفريقية الشرقية والشمالية فملكوا تونس وطرابلس الغرب واجتاز كثيرون منهم صحارى القيروان وليبية وتوغلوا فى داخليـــة البلاد و بعضهم ذهبوا إلى السودان من طريق مصر وقنا وكانت القصير مرفأ لمراكبهم يجتازون منها مضيق باب المندب فى البحر الأحمر ويرتادون السواحل الشرقية حتى وصل بعضهم فى بدء تاريخ الهجرة إلى سواحل جزيرة مدغشقر جنوباً وأسسوا فى شمالها مملكة عربية لم تزل آثارها وقلاعها و بقايا شعوبها موجودة حتى الآن[١] .

---

(١) ص ٩٢ أعلام المقتطف ج ٢ . كتب عنها رايدر هجارد رواية « هي » أو « عائشة » .

واستدل العلماء أن العرب من بدء الهجرة عرفوا أكثر بلاد إفريقية ووصلوا إلى منابع النيل وتوغلوا فى بحيراتها وغاباتها ومجاهلها وكانت حتي أواسط القرن الماضى يجهلها الإفرنج ووطئت أقدام الفاتحين من العرب تلك البلاد السحيقة قبل أن تطأها أقدام السياح المتأخرين وكانت لهم تجارة واسعة فى إفريقية كلها وملكوا الصومال وجوبع وممبسة وزنجبار وموزمبيق وكومورو وانتشرت عندهم النخاسة كما كانت منتشرة عند اليونان والرومان والأوربيين والأمريكان .

ولما ضعفت شوكة العرب ونبذوا العلوم والمعارف وتركوا أسباب التجارة واشتد ساعد البرتوغال جهزوا السفن والرجال فى أواخر القرن الرابع عشر وأرسلوها إلى سواحل إفريقية الغربية والجنوبية والشرقية وطردوا العرب منها

وتربط المسلمين بالحبشة أمور شتى أولها مصالح التجارة قال صفوان بن أمية « وإنما حياتنا بمكة على التجارة فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء » .

ولما قبض الله خديجة بنت خويلد تزوج الرسول من سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس ولم يرو راو أن سودة كانت من الجمال أو من الثروة أو من المكان بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً فى زواج محمد منها ، انما كانت سودة زوجاً لرجل من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا وهاجروا الى الحبشة وهاجرت معه زوجته وعانت معه ما عانت فتزوجها محمد ليعولها وليرتفع بها الى مقام أمهات المؤمنين .

ولما أرسل النبى الى ملوك الأرض وفوداً وكتباً بختمه يدعوهم الى الاسلام ومنهم هرقل الروم ومقوقس مصر وكسرى الفرس ، لم يغفل النجاشى فكان

رد النجاشى جميلاً لطيفاً ، خصوصاً بعد ما كان بينه و بين المسلمين الذين هاجروا الى بلاده وأقاموا فى جواره .

و يظهر أن عاطفة ود صحيح قد نمت بين النبى و بينه حتى زعم بعضهم أنه أسلم ولكن هذا خبر مبالغ فيه غير أن النجاشى لم يقصر فى حمل المهاجرين من المسلمين بزعامة جعفر بن أبى طالب ومعهم رملة بنت أبى سفيان ( أم حبيبة ) .

ولما عادت أم حبيبة من الحبشة أصبحت من أزواج النبى ومن أمهات المؤمنين . وقد علل المؤرخون هذا الزواج بأسباب كثيرة منها أن محمداً أراد الارتباط بأبى سفيان ومنها أنه أراد كيده وهو فى وثنيته قد دخلت ابنته فى دار خصمه الألد صاحب الدين الجديد .

والسبب الصحيح فى زواج النبى من أم حبيبة هو رغبته فى مكافأتها على ثباتها فى دينها والأخذ بيدها بعد تنصر زوجها ثم ما رآه فيها من الذكاء الخارق وحضور البديهة وسرعة الخاطر وصدق المشورة فى الأزمات سواء أكانت فى الهجرة أو فى الوطن أو فى الحرب أو فى السلم . فانها هى التى دبرت كثيراً من شؤون المهاجرين فى الحبشة وهى التى ردت كيد عمرو بن العاص فى نحره عند ما أراد الدس للمسلمين عند النجاشى[١] وهى التى أشارت على النبى فى الحديبية بحلق شعره وذبح هديه والخروج الى الجيش فاتبعوه و بذا حلت أزمة داخلية كبرى.

و إذن يكون عقل أم حبيبة ومتانة خلقها وحسن تدبيرها وثباتها على دينها ( لأنها لم تتبع زوجها ابن جحش عند ما ارتد ) هى الخلال التى عطفت قلب رسول الله عليها وجعلته يقدرها قدرها فضمها الى آل بيته .

---

(١) فى جاهليته . راجع سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وترجمة محمد عليه الصلاة والسلام لمرغليوث

هذا بعض ما يربط الحبشة بالاسلام ومصر ، فى العصور القديمة وقد أسهبنا الكلام فيه فى الفصل الأول من الكتاب .

ان مصر والشرق بجناحيه الأدنى والأقصى بعد قلبه الخافق ، والعروبة بشعوبها ودولها كلها مهتمة بحالة الحبشة ومركزها فى العالم وأزمتها الحاضرة . وإن اهتمت أوروبا بالمشكلة الحبشية خوفاً على السلم العالمى أو مقاومة مطامع ايطاليا الاستعمارية ، فاننا نهتم بالحبشة لأنها تمثل الشرق وافريقيا فى أسمى مظاهرها وأروعها وأرفعها وأشرفها وأسماها وأى شىء أعظم من التعلق بالحرية جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر والوقوف فى وجه العدو الأجنبى مهما كانت قوته و بطشه وسلطانه وتهديده ووعيده ووعوده ونفوذه ونقوده . فان الأحباش يرون الحرية أغلى من كل خير فى الحياة كما يرون كل شرٍّ هيناً فى سبيلها .

ونحن لا نبغض الطليان ولا نظن أنهم يناصبوننا العداء أو يحملون لنا حقداً فى حنايا ضلوعهم . وقد دامت علاقة الود بيننا و بينهم أجيالاً طويلة ولكن هجومهم على الحبشة فى سنة ١٨٩٦ وعلى طرابلس الغرب فى سنة ١٩١٢ ومعاودتهم الكرة على الحبشة فى هذا العام حول قلوبنا عنهم ، والصراحة فى هذا الظرف واجبة فنحن لا نحب أن نرى دولة أجنبية تنقض على مملكة شرقية فى هذا العصر عصر المدنية والحرية . وقد هاج الاعتداء الايطالى ضمير العالم كله ، فلا عجب اذا هاج ضمير مصر و بينها و بين الحبشة ما ذكرنا من أواصر الجوار والمودة ولا نخفى أننا لو استطعنا لمنعنا هذه الحرب بكل الوسائل التى فى وسعنا وان أسفنا على شىء ، أسفنا على أن مصر ليست عضواً فى عصبة الأمم لتتمكن من اسماع صوتها ، لأن قنال السويس واقع فى أرضها وهى قناة عالمية

محايدة ، ولكن موانع السياسة وتردد رجالنا حرمتنا من هذا الحق المقدس ، فان مصر ليست أقل من العراق ولا من الحبشة نفسها ، التى تنبرى اليوم للدفاع عنها ، وكان صوتنا يكون أرفع وحجتنا أبلغ لو أن لدينا قوة مادية أو مقعداً ومنبراً فى جنيف .

وان تقدماً كتبه الله لنا ، وثروة فى العلم والمال تالدة وطارفة وموطناً يتوسط العالم القديم براً و بحراً ، أنعمها علينا لخليقان بأن يجعلا لمصر مركزاً ممتازاً ، فما فتئت مصر تشغل بال العالم فى الحرب والسلم ، وتحسب لها دول الأرض حساباً غير يسير وقال نابليون بونابرت « مصر أعظم مملكة فى العالم » ولم يخف عليه أنها تستطيع بموقعها الجغرافى أن تتحكم فى حظوظ طائفة من الأمم غير قليلة — غير أن مصر كثيراً ما ضيعت الفرصة السانحة وأفلتت من يدها زمام السياسة التى تصلح لها وتهاونت فى كثير من حقوقها حتى كادت تمحو حسن طالعها .

ما الذى عاق مصر عن الدخول فى عصبة الأمم ؟ أنها السياسة ، وأنه الجهل العقيم لا قضاء ولا افتاء ولا قول المؤرخين الهراء .

أليس الدافع للفاشيست وهمهم انهم قادرون على أن يفعلوا ما لو كانت الاسلاف أحياء لقصرت عن فعله ؟

و يظهر أن الفاشيين يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولتهم وممتثلاً لأوامرهم ، خارج عن الحضارة وهم يصفون خصومهم بأنهم متوحشون وطائشون وغير جديرين بأن يكونوا أمة أو يدخلوا فى زمرة العصبة . وتحب أوربا أن تذكرهم بموقعة عدوة التى ما تخلصوا من ذكراها الأليمة إلا بجهد جهيد .

سيرى القراء أن ايطاليا تعلل نفسها بالانتقام لعدوة ، ويكادون وهم يطرحون نزاعهم على بساط البحث فى جنيف ، يهاجمونها بقنابلهم وطائراتهم

قبل أن تكشر الحرب عن أنيابها ، وقبل أن تدق تلك الشمطاء طبولها فى آذان الأمم المطمئنة الوادعة[١].

ولكن امبراطور الحبشة الذى وصفه الدوتشى بالثرثرة عرف كيف يتقدم إلى جامعة الأمم فسلم الأمر للمندوبين راضياً وترك حقه راغباً فأمسوا عنه راضين كما رضى ، يرون رأيه حذو القذة بالقذة[٢].

ولئن ذكروا ثأر عدوة ، الذى انقضت عليه أربعون سنة ، فقد أخطأوا المرمى وأساءوا اختيار الحجة ، فانه فى دون هذه المدة ، تنسى الأحقاد ، وتموت الترات ، وتبرد الأكباد الحامية ، وتسلو القلوب الواجدة ، و يعدم قرن من الناس و يخلق قرن جديد ، ولم يبق من أرباب تلك الشحناء إلا الأقل[٣]

فماذا تفيد ايطاليا الآن من إظهار ما فى النفوس ، وهيجان ما فى القلوب ، ما دامت الاخلاف من قومهم ، والاحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائع الأحباش وفتكاتهم لا يفكرون فى الانتقام من قوم لا تزال سيوفهم ورماحهم تقطر دماً فى سبيل الدفاع عن أوطانهم .

وطالما لقى الأحباش أعداءا فى سبيل الدفاع عن وطنهم ، فلقوهم ، نفخ العلانية ، خور السريرة ، هرج فى الرخاء ، جزع فى اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبهم ، إن أُهمِلوا خاضوا ، و إن خُوربوا خاروا ، و إن اجتمع العقلاء على رأى طعنوا ، وان اجيبوا إلى مشاقة نكصوا .

---

(١) بعد كتابة ما تقدم هاجموا عدوة فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٥

(٢) عند ما دخلت الحبشة عصبة الأمم رحب بها ايطاليا وأثنى عليها

(٣) لم يسافر إلى الحبشة من بقايا جيش عدوة الايطالى إلا ضابط واحد فى الستين من عمره .

ولما اجتمعت عصبة الأمم خلال شهر سبتمبر وانبرى مندو بو الأمم يدافعون بالبرهانات القوية لجاج ايطاليا وجدالها ، لم يجدوا لديها سوى الطعن فى الحبشة والانتقاص من مكانتهم بين الأمم . وكان المندوبون يظنون أن ايطاليا بعد الجدال والخصام واللدد ستلين شدتهم بعض اللين ، ولكنهم أضجروا كل عظيم وعبقرى وألمعى من المندوبين وأعضاء اللجان وهم يحاورونهم ، فآمن المندوبون وصدقوا أن لا حجة لديهم ولا برهان سوى حجة الذئب ضد الحمل ، ولكن يظهر أن الرعاة قد تضافروا هذه المرة ليمنعوا المفترس عن الفريسة .

إن مسلك مصر لا ينطوى على العطف فقط ، بل إنه مستمد من مشاركة العالم المتحضر رأيه فى خطة إيطاليا . فالعالم لا يريد حرباً لأنه علم بالخبرة المحرقة أن الحرب عدو التقدم الألد وخصم الحضارة الأعند ، والعالم لا يشفق على من يزعزع أركان السلم ويهرق الدماء فى سبيل مخاوف موهومة من الجوع الذى سوف يلحق فى زعمهم الأجيال المقبلة ، ففى سبيل ضمان الرغيف لأبناء الغد يفنى أبناء هذا القرن عن آخرهم وحينئذ يكون من قال « عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة » . قد أخطأ فى شريعة الفاشيست .

ومن ذا الذى أعطى الطليان حق الإعتداء على الأحباش ، والتنكيل بهم والنيل من كرامتهم وامتهان أمتهم بحجة تحضيرهم وتمدينهم ، وهـذه أمة على أفريقيتها و بساطة أخلاق أهلها ، و بعدهم عن خبث بعض الممالك المتحضرة يرجع نسبهم إلى الحرية ثلاثة آلاف سنة إلى عهد سليمان الحكيم [1] فى حين أن استقلال الطليان وجلاء آخر جندى أجنبى من عاصمتهم يرجع إلى ستين عاماً .

(١) نشرنا آيات القرآن التى لها مساس بهذه القرابة .

سوف يسجل التاريخ الانسانى أنه لم يسبق لساسة فى العصر الحديث أن يروا نشوب حرب جائرة بمثل هذه السهولة . فها كم دولة كبرى من ضامنات السلام العام فى العالم ، وفى الصف الأول بين دول أوروبا المتحضرة ، أو التى تقول عن نفسها ذلك ، ما برحت فى ثنايا ضميرها منذ أعوام تهيىء المعدات العسكرية وتعد ما استطاعت من قوة وسلاح ورباط الخيل والطير ، فلما وثقت أنها أتمت عدتها وأكملت استعدادها ، اشعلت نار حرب شعواء للغزو فى سبيل الفتح والغنيمة تذكر العالم بغارات القبائل على الممالك الكبرى ذات الحضارة . ومما زاد هذا الشعور ألماً أن الدولة المهاجمة رفيقة لها وزميلة فى عصبة الأمم التى تجمع الاثنتين بعهد الشرف .

وفى الحق أن عصبة الأمم لم تقصر فى أداء واجبها فوافق مجلسها المنعقد فى جنيف فى ١٧ اكتوبر باجماع الآراء على تقرير لجنة الثلاثة عشر ولجنة الستة وألقت على الدولة الاوروبية المتمدنة مسؤولية الحرب الجائرة .

# ١ — علاقة الحبشة بمصر والاسلام

## قديما وحديثا

كانت الحبشة تدين بالوثنية كسائر الشعوب الافريقية ولكن اتصالها ببنى إسرائيل ما أدّى إلى انتحالها الدين الموسوى . فلما أذن الله للمسيحية أن تنتشر ودانت لها الامبراطورية الرومانية وانتشرت النصرانية فى اليونان والشام ومصر، امتدت من مصر إلى الحبشة . وكانت الحبشة منذ أول أمرها ترمى إلى الفتح فتغلبت على اليمن إلى أن غلبهم الفرس فى عهد كسرى فأجلوا عنها وارتدوا إلى حدود بلادهم وراء البحر الأحمر بعد أن ملكوا اليمن خمسة وسبعين عاماً .

وكانت الحبشة قبل ظهور الاسلام بخمسين ومائة عام والنجاشى على عرشها فى قمة مجدها تجرى بأمرها فى البر والبحر تجارة واسعة ويمخر البحار أسطول لها قوى أخضع لها ما جاور شطوطها من البلاد وقد خطب أهل بيزنطة ودّها وولاءها واعتبروها ممثلة للسلطة المسيحية فى البحر الأحمر وبأمرهم فتحت الحبشة بلاد اليمن على يد قائد حبشى خلعه أبرهة الأشرم المشهور فى تاريخ الاسلام بصاحب الفيل لأنه هو الذى قاد حملة الفيل إلى مكة وحاول تدمير الكعبة فكان ما كان من خبر فشلهم وهلاك جيشهم .

وكان عبيد الله بن جحش من أكابر العرب فى السؤدد والنفوذ ، وفى التفكير أيضاً فكان فى الجاهلية يبغض الوثنية ويتشكك فيها ويريد أن يعيش حر الفكر غير مقيد بعبادة الأصنام أو أية عبادة أخرى من قبيلها وكان هو وثلاثة من صحبه هم زيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل يحقرون الوثنية

وينكرونها ويعتبرون أهلها فى ضلال ، حتى أن عبيد الله بن جحش انبرى لاصحابه وقال « تعالوا والله ما قومكم على شىء وإنهم لفى ضلال فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجرى دم النحور ، يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الذى أنتم عليه ! »

وظل عبيد الله بن جحش فيما هو فيه من الثورة على الوثنية حتى ظهر الاسلام فكان فى مقدمة الذين اسلموا ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة وقد صحبته فى هجرته إلى الحبشة إمرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان وهى أخت معاوية .

ولما كان عبيد الله بن جحش قابلاً للتغيير والتبديل فى معتقده منذ تزعزع إيمانه ومنذ اجتمع هو وقومه بنخلة ليحيوا عيد « العزّى » فقد دب هذا الضعف إلى دينه الجديد بعد هجرته فسهل على دعاة المسيحية فى الحبشة أن يجذبوه اليها فانتحل النصرانية وطلقت إمرأته وما زال على النصرانية إلى أن مات عليها[1] .

أما أم حبيبة فبقيت على دينها وهو الاسلام حتى عادت من هجرتها مع مَن عاد من المسلمين وصارت من أزواج النبى وأمهات المؤمنين .

وكانت على عقل راجح وخلق متين .

لما ظهر الاسلام بشىء من القوة بدأت قريش تناوئه وتعاكس ذويه وتنزل بهم ما تقدر عليه من صنوف الاضطهاد والتعذيب والبلاء حتى بلغ التعذيب التقييد بالسلاسل والحبس والجلد ، حتى القتل ! فضج المسلمون واستغاثوا بالله ورسوله فأشار النبى عليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة النصرانية لأنها قريبة من وطنهم ولأن بها ملكاً هو النجاشى لا يظلم أحداً وقيل إن النبى عليه الصلاة والسلام وصف أرض الحبشة بأنها أرض صدق ... وقد أشار النبى

(١) سيرة ابن هشام وتاريخ العالم لولز ص ٣٢١ .

على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة والبقاء بها حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه .
فأطاعوا أمر رسول الله وخرجوا من مكة فارين بدينهم إلى الله وكانت الفرقة الأولى من المهاجرين مؤلفة من أحد عشر رجلاً وأربع نسوة تمكنوا من الفرار من مكة فلما بلغوا بلاد الحبشة أكرم النجاشى وفادتهم ثم عادوا إلى مكة ظناً منهم أن قريشاً كفت أذاها عن المسلمين فرأوا بأعينهم من الأذى أشد مما عانوا فى بداية أمرهم فعادوا بهجرتهم إلى الحبشة وقد بلغوا ثمانين رجلاً غير النساء والأطفال وما زالوا بها إلى أن هاجر النبى إلى المدينة . وقد استمر الفريق الأول فى الحبشة ثلاثة أشهر ، كان عمر بن الخطاب قد أسلم فى أثنائها فاشتد ساعد المسلمين فى مكة وظن المهاجرون أنهم لن يلقوا بها عنتاً فعادوا إلى وطنهم ولكن آمالهم حبطت عند ما رأوا من ظلم أهل مكة أكثر مما رأوا من قبل فعادوا إلى الهجرة فى عدد أوفر .

عاد المسلمون المهاجرون الأوائل من الحبشة بعد ثلاثة أشهر بعد أن أسلم عمر بن الخطاب ونصرَ الاسلام بمثل الحمية التى كان يحارب بها من قبل حتى اضطرت قريش لمهادنة المسلمين وعادوا حين شبت الثورة فى بلاد الحبشة ثورة خافوا مغبتها .

والثابت فى كتب التاريخ أن أهل قريش لم يطمئنوا الى هجرة المسلمين الى الحبشة فبعثوا برسولين إلى النجاشى يحملان أنفس الهدايا وأغلاها ليقنعوه برد المسلمين المهاجرين إلى وطنهم وقد علم أهل مكة أن النجاشى تفضل فبسط حمايته على المسلمين المهاجرين بعد أن سمع أقوالهم فى وصف دينهم الجديد .

أما رسولا مكة إلى النجاشى فكانا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة وقد دل القرشيون بهذا الأنتخاب على صدق فراستهم وحسن إختيارهم ولا سيما

فى إختيار عمرو فقد سبقت له أسفار إلى الحبشة لأنه كان فى الجاهلية يتجر بيضائع اليمن والحبشة الى الشام وأهمها الادم والعطر

وقد عادت ممارسة التجارة على عمرو بأعظم الفوائد المادية والمعنوية فاكتسب كثيراً من أسفاره المتصلة واختلاطه بأقوام على جانب عظيم من المدنية والارتقاء إذ ذاك فتولدت فيه المواهب النادرة ونمت وازدهرت فتجلت مظاهرها فى جميع أدواره وكل فعاله مما كان له أعظم الأثر فى مواقفه السياسية والحربية وهذه الأسفار أكسبت عمرواً شيئاً من الدهاء غير قليل(١) من ذلك ما ورد فى الأغانى(٢) وهو خاص بما وقع بين عمرو وعمارة بن الوليد المخزومى من التناحر والمكايدة على النفوذ والنساء وما زال عمرو يرصد لعمارة حتى أوقع به فى دسيسة قضت على سعادته

هذا هو عمرو بن العاص أحد الرسولين اللذين بلغا الحبشة ليستردا المهاجرين فدفعا(٣) الى النجاشى ورجال كنيسته ما كان يحملان من الهدايا وتقدم عمرو فى بلاط النجاشى عند التشريفة الأولى بالخطبة التالية على لسان قومه قال : —

« أيها الملك ! إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بَعَثَنَا اليك فيهم أشرافُ قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليك فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه »(٤)

ولم يقصر عمرو بن العاص فى استمالة قلوب بطارقة الحبشة اليه بالهدايا والتحف ليكونوا فى صفه عند النجاشى ويسهلوا عليه استرداد المهاجرين دون

(١) ص ٢٦ عمرو بن العاص لحسن ابراهيم (٢) ج ٨ ص ٥٠
(٣) حياة محمد للدكتور هيكل (٤) حياة محمد للدكتور هيكل بك

أن يسمع النجاشى دفاع المهاجرين . و بذل البطارقة قصارى جهدهم فى إيغار صدر النجاشى على المسلمين المهاجرين فأبى عدل النجاشى الذى ذكر عنه النبى « أنه لا يظلم عنده أحد » أن يجيب طلب الرسولين حتى يسمع ما يقوله المهاجرون فلما مثلوا بين يديه سألهم عن الدين الذى فارقوا فيه قومهم ولم يدخلوا به فى دينه ولا فى دين أحد من الملل .

فانبرى له جعفر بن ابى طالب (ابن عم النبى) فقال :

« أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بالصدق والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فصدقناه وآمنا به على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلادك ورجونا أن لا نظلم عندك »[1]

فقال النجاشى :

— هل معك مما جاء به عن الله من شىء تقرأه علىّ ؟

قال جعفر : نعم !

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٥

وتلا من سورة مريم إلى قوله تعالى :

« فأشارت إليه قالوا كيف نكلم مَن كان فى المهد صبياً ! قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنتُ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا والسلام علىّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعثُ حيا »

فلما سمع البطارقة هذا القول مصدقاً لما فى الانجيل أخذوا وقالوا هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح ! وقال النجاشى إن هذا والذى جاء به موسى لَيخرجُ من مشكاة واحدة . ثم التفت إلى عمرو ورفيقه وقال لهما :

« انطلقا والله لا اسلمهم إليكما ! »

ولكن عمرو بن العاص لم تخمد جذوة مكره ولم تنطفئ شعلة دهائه فعاد من الغد إلى النجاشى بفتنةٍ جديدة ولكنها فشلت . وقال النجاشى للمسلمين « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هــذا الخط » وقد أخذ عوداً وخط به على الأرض . وأحسن وفادتهم وأكرمَ ضيافتهم وعاملهم بالعدل والدعة .

وقد برهن الأحباش وعلى رأسهم النجاشى والبطارقة أنهم شعب كريم عريق فى الشفقة والانسانية والعطف على كل مظلوم أو مضطهد سواء كان على دينهم أو على دين يخالفه . فغمروا المسلمين المهاجرين بحسن الجوار وجميل المعاملة مما جعل المسلمين يطمئنون إلى جوارهم ويسكنون إلى حمايتهم من أهل مكة الذين تتبعوهم بالأذى حتى فى المنفى ودل النجاشى والأحباش على أنهم أهل مروءة ونجدة وقد صدق نظر رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ بعث بأصحابه إلى الحبشة منتظراً معاملتهم بالعدل والحسنى .

## ٢ – طموح مصر إلى فتوح أفريقا

### ا — آخر جهود مصر فى توسيع أملاكها فى أفريقا

تنازلت الحكومة العثمانية فى سنة ١٨٦٦ لمصر عن سواكن ومصوع مقابل زيادة فى الجزية التى كانت تقبضها تركيا من مصر مساناة فأخذت الحكومة المصرية تسعى فى توثيق المواصلات بين مصوع وكسلا فأنشأت بينهما خطاً حديدياً يمر فى سنهيت التى اعتبرتها مصر داخلة فى منطقة كسلا . ولمدينة كسلا هذه أهمية كبرى من الناحية الحربية لأنها واقعة على أحد راوفد نهر عطبرة وقريبة جداً من الحدود بين الحبشة والسودان ويكاد يربطها بمصوع خط مستقيم ماراً باسمرا ( عاصمة اريتريا ) ولا تبعد كسلا عن حدود اريتريا أكثر من عشرين كيلومتراً فلها فى كل وقت أهمية عسكرية كبرى فى أى حرب تنشب بين الحبشة وبين أية دولة أخرى « ولو أنها كانت فى يد إحدى القوتين المتحاربتين لأكسبتها مزايا لا يستهان بها ، بل أن كسلا تستطيع أن تتحكم عسكرياً على اريتريا[١] » .

ولم تكن تلك الأهمية لتخفى على نجاشى ذلك الزمان ( ١٨٦٦ ) وهو تيودورس فادعى امتلاك سنهيت للحبشة .

ولكن تيودورس ما لبث أن جر على نفسه حرباً مع الأنجليز واليك بيان أسباب تلك الحرب بالإيجاز فان سياسة بريطانيا فى شرق إفريقا فى أواسط القرن التاسع عشر كانت تسعى فى الاتصال بحكام الحبشة حتى توطدت روابط

---

(١) اللواء رمضان باشا فى مقالة « الخطة الحربية الايطالية »

المودة بين الأنجليز و بين تيودورس ملك الحبشة وفى نهاية الأمر جردت عليه حملة انتهت بانتحاره خوفاً من الوقوع فى الأسر وسقوط ماجدلا عاصمة ملكه فى يد سير روبرت نابيير الذى صار لورد نابيير اوف ماجدلا بعدانتصاره على الأحباش.

واصل هـذا البلاء ، أنه فى سنة ١٨٠٥ هبط أرض الحبشة إنجليزى عظيم هو الفيكونت جورج فالنتيا وكاتم سره هنرى صولت فطافا بالبلاد وتعرفا بالملك إمبوالاصيونى وقدما اليـه الهدايا والتحف لأن الهدايا تصون الصداقات ثم رحلا . و بعد أر بع سنين عاد صولت بهدايا نفيسة وخطاب توصية للملك وهو مزود بأوامر تقضى عليه أن يضع تقريراً وافياً عن أحوال البلاد ، وأن يتصل بالقبائل المتاخمة للسواحل ليدعوها للمتاجرة مع بر يطانيا . فنحن نعد الفيكونت وكاتم أسراره طلائع الغزو الأوروبى فى الحبشة و إن كنا نعلم أن انجلترا لم تكن ترغب فى شىء أكثر من إجتلاب الأحباش إلى أسواقها وهى تتبع فى ذلك الطرق الودية والدبلوماسية .

وعاد صولت إلى انجلترا ووضع كتاباً فى سنة ١٨١٣ عن رحلته إلى الحبشة و بذلك انتهت مأمور ية الرائدين الأولين وهى سياسية ودية . وفى سنة ١٨٣٠ زار الحبشة الأسقف جو بات وزار « جندار » بصحبة مستر كوفن الذى رافق صولت فى رحلته السابقة ، وفى سنة ١٨٤٠ اتصلت حكومة الهند بالرأس شملا سلاسى حاكم شوا وعقدت بينهما معاهدة صداقة وولاء ( ١٨٤٤ ) وطاف بالحبشة رائدان حر بيان هما هار يس وجونستون وعقبهما وكيلان من ديوان المخابرات هما بلودن و بل التقيا بالسويس ، وتذرعا بالحيلة والذكاء حتى تمكنا من الطواف بالحبشة ثم عادا إلى انجلترا فعين أحدهما مستر بلودن قنصلاً لدولته فى مصوع وعمله الظاهر الدعوة لترويج المصنوعات الأنجليز ية .

وقد قابله لورد بالمرستون قبل سفره إلى الحبشة فى سنة ١٨٤٨ وزوده بهدايا للرأس على ، وأوصاه بتوثيق العلاقات بين انجلترا والحبشة فلما وصل بلودن فى سنة ١٨٤٩ الى الحبشة وقع مع الرأس على معاهدة فتناول الرأس القلم مبتسماً وقال «معاهدة لا فائدة منها ! لأنه ليس فى الحبشة ما يغرى أحداً من تجار الانجليز »(١) وكان الرأس على أقوى حكام الحبشة وأحقهم بلقب ملك أو نجاشى .

وقد تنازل لبريطانيا عن حق حماية الرهبان الأحباش فى القدس

ظهر فى أفق الحياة الحبشية « لدج كاسا » ( بعد ذلك تيودورس الثانى ) وكان شهماً مجازفاً فتغلب على خصومه ومزاحميه . وكان رجلاً خيالياً ، يعتقد أنه بطل ربانى مرسل من العناية الآلهية لاداء وظيفة سامية للوطن وهى جمع كلمة الأحباش ولم شعثهم تحت علم واحد لتبلغ ذروة المجد والقوة فيخشاها العالم كله . وكان الرأس على يرى غير رأيه ويفضل التأنى وتقديم الرأى على الشجاعة فكانا فى أخلاقهما على طرفى نقيض فساءت العلاقة بينهما وتنازلا فى مواقع عدة انتهت بأن خلص لدج كاسا من الرأس على بأن أصابه بجرح فى رأسه أرداه قتيلا .

وتوج كاسا ملكاً على الحبشة باسم تيودورس الثانى لأنه علم من بعض الأساطير أن سيأتى على الحبشة ملك قوى إسمه تيودورس يلم شمل الأمة والوطن ويحكم بالعدل والانصاف فترهب الدول جانبه ويعم اليسر والرخاء عهده فاعتقد كاسا (ومعناها بالحبشى عوض) أنه هو المقصود بالذات ، وإن لم يعتقد فقد أراد أن يكون هو فتوج فى ١٨٥٥/٢/٧ ملك ملوك الحبشة .

---

(١) مازالت أوروبا تجرى وراء المعاهدات والامتيازات فى إفريقيا وآسيا وآخرها امتياز ركيت الشهير .

واجتمع الصديقان بلودن و بل ثانية فى معسكر تيودورس عقيب تتويجه وقد تزوجا من سيدتين حبشيتين عريقتين فى المجد وكانا صديقين للرأس على فلما قهره كاسا لاذا بمعسكر الغالب معاً .

وقام تيودورس ببعض شؤون الاصلاح فى البلاد وحدث أن مستر بل (أحد الاثنين) قتل برصاصة طائشة مجهولة المصدر . فحزن عليه تيودورس حزناً شديداً لأنه كان يعول عليه ، وكان يجد فى عشرته السلوة التى يلقاها الملوك فى الندامى .

فكان عهد تيودورس نذيراً بهلاك الصديقين فان بلودن الذى بقى بعد مصرع بل وهو قنصل انجلترا بمصوع مرض وأراد السفر إلى وطنه للعلاج فأبى عليه تيودورس مفارقته فخطفه بعض خصومه ودفع النجاشى ديته ، ثم اشتدت عليه وطأة المرض فتبع رفيقه السابق بل إلى الدار الآخرة و بموتهما فقد النجاشى تيودورس ( كاسا سابقاً ) خير أعوانه فساءت علاقته بانجلترا حتى نشبت الحرب بين انجلترا والحبشة فطلب الانجليز من حكومة مصر ( عهد اسماعيل ) أن يأذن لهم باجتياز بعض الأرض المصرية الواقعة على بحر القلزم ، فلم يكتف اسماعيل باجابتهم الى ذلك ولكنه لاستيائه من تيودورس وضع الأسطول المصرى كله الذى كان فى البحر الأحمر تحت تصرفهم وكلف حاكم مصوع بمساعدة الانجليز فى كل ما يرغبون وانتهت الحرب بين انجلترا والحبشة بموت تيودورس كما قدمنا فى سنة ١٨٦٨ وصيرورة العرش الحبشى إلى يوحنا .

### ب — الرأس يوحنا وحروب مصر والحبشة

كان يوحنا فى أول أمره راهباً صغيراً فى دير، ولكنه ما لبث أن تركه وترأس عصابة من الأقوياء وأخذ يقطع الطريق على السابلة. ثم اشتد ساعده وزاد بطشه وعلا نفوذه حتى تمكن من تبوء كرسى الحكم فى مقاطعة البحرى والتغلب على الرأس باريو.

ولما جاء الانجليز لمحاربة تيودورس ساعدهم يوحنا مساعدة فعالة فكافأه لورد نابيير أوف مجدالا[1] بعد قهر النجاشي وموته، بأن ترك له إثنى عشر مدفعاً وألفى بندقية وميرة كثيرة ليستعين بها على الحلول محل تيودورس وبعد انسحاب الجيش الانجليزى تخلف عنده بريطانى إسمه چون تشارلز كركهام فعضد يوحنا فى التغلب على بعض خصومه فعلت عنده منزلته وبما أن يوحنا لم يكن من آل بيت الملك، أبى كثيرون من رؤساء الأحباش الاعتراف به، وأخذوا يناوئونه العداء وأهمهم رأس قبيلة القالا، فانشغل بقتالهم حيناً من الدهر.

وكانت الدولة المصرية قد توغلت فى فتوحها حتى بلغت خط الاستواء فوقع فى خلدها أن تجعل النيل كله مصرياً فسيرت حكومة مصر إلى جوف بلاد الحبشة رجلاً سويسرياً إسمه متزنجر لمعرفة أحوالها واستمالة كبار رؤوسها فتوغل متزنجر فى الحبشة وغاب خبره حيناً عن مصر ثم عاد حاملاً شيئاً من منتجاتها وزين لحاكم مصر إذ ذاك وهو الخديو اسماعيل التغلب عليها وامتلاكها مغتنماً فرصة الفتنة بين أمرائها وأقسم له بأغلظ الايمان أنه يملكها ويدوخها بنفر من العسكر المصرى وشىء يسير من النفقة. فأعجب الخديو برأيه ومال إليه

---

(١) على وزن لورد كتشنر أوف خرطوم لان مجدالا اسم بلد حبشى

فولاه الحكم على مصوع (مفتاح الحبشة) فسار متزنجر إلى مقر وظيفته واغتنم في سنة ١٨٧٢ فرصة غياب يوحنا فى محاربة القالا فى الجنوب واستولى على سنهيت المذكورة آنفاً وهى عاصمة البوغوس وتعرف باسم (كرن) واستمال الرأس محمد الذى كان يكره يوحنا واشترى منه مقاطعة قريبة من مصوع اسمها (آيلت) وخشى يوحنا عاقبة الفتح المصرى وأخذ يرى شباك الدولة المصرية حوله بعين الرعب والحذر وينظر إلى تقدم الجنود بقلب مضطرب ، ووقع فى خلده فى أول الأمر أن يستظل بحماية أوروبا بأن يصور لهم الهجوم المصرى بصورة غزو اسلامى لبلاد مسيحية يستدعى أن تقابله النصرانية الأوروبية بحرب صليبية جديدة ، فأرسل صديقه جون شارلز كركهام إلى الملكة فيكتوريا وباقى عواهل أوروبا فى تلك المهمة ، ولكنه لم يجد من أحدهم أذناً صاغية وعاد رسوله بخفى حنين .

وأيقن يوحنا أنه لا يحك جلده مثل ظفره ، فصمم على أن يتولى جميع أمره وأن يقوم بالدفاع عن نفسه بنفسه

وفى سنة ١٨٧٤ توفى السلطان احمد سلطان هرر[١] وتولى السلطنة بعده الأمير محمد فاستبد بالأهلين فاستنجدوا باسماعيل فأخذ يسعى فى شراء زيلع وبربر ثغرى هرر من الدولة العثمانية وتمت الصفقة وتنازل الباب العالى عنهما فى يوليو سنة ١٨٧٥ مقابل زيادة ١٣٣٦٥ جنيهاً على جزية مصر السنوية .

فامتد سلطان مصر على ساحل القلزم الغربى عامة من خليج السويس إلى تجوره وتجاوزه إلى رأس جردافوى على المحيط الهندى متناولاً بذلك نفس أرض الصومال .

---

(١) هرر سلطنة اسلامية مستقلة شرقى الحبشة أسسها غزاة العرب بعد قيام الاسلام بقليل وحكمتها أسرة من أهله .

وعقدت الحكومة المصرية لواء حملة لمن يدعى رؤوف باشا فاحتلت مدينة هرر فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ وقبض قائدها على السلطان محمد وقتله خنقاً بحيلة فى حفلة دينية حينما كان السلطان جالساً يصلى أو يذكر وقتل معه خمسة وعشرين شيخاً من الزعماء واستولى على كل ما كان يملكه ذلك السلطان (١)

وقد شبه لحكومة مصر بعد شراء زيلع واحتلال هرر ان اكتساح الحبشة بات أمراً لازماً ولم يعد منه مناص فجهزت حملة الأميرالاى ارندروب الطوبجى الدنمركى فى شتاء ١٨٧٥ فسار قاصداً إلى (عدوه) إحدى عواصم يوحنا . وكانت انجلترا وفرنسا قد سلحتا الحبشة بالأسلحة النارية سواء بالبيع أو بالإهداء

وفى أكتوبر سنة ١٨٧٥ علم يوحنا بزحف المصريين نحو أسمره فاستنفر جميع المقاتلين من رعاياه فى سائر انحاء المملكة فلبوا نداءه أفواجاً وأخذ يوحنا يمكر بجيش ارندروب و يخدعه فيتقدم تارة و يتأخر طوراً ثم يختفى ، و يظهر بعد ذلك فجأة ولا يلبث أن يعود إلى الاختفاء لإطماع عدوه فى نفسه حتى انطلت حيلته على المتحمسين فى الجيش المصرى ولم يكن هـذا الا استدراجاً من يوحنا لخصومه . والتقى الجيشان على ضفاف نهر المأرب وكان عدد الأحباش بنسبة الف لكل عشرة من المصريين فهزموا .

فبادرت مصر إلى تجهيز حملة أخرى تحاط بجميع مسببات الفوز وتسييرها للحال للاقتصاص من الأحباش وللاقتصاص لشرف مصر بحيث تبلغ الغرب فى آن واحد أنباء كسرة ارندروب وأنباء فوز الحملة المرسلة للثأر لها ، فوزاً ساحقاً

---

(١) مازالت هذه السلطنة فى حكم مصر إلى مارس سنة ١٨٨٤ وقيام فتنة المهدى فاخلتها جنود مصر وآلت إلى الاحباش فى عهد منليك .

فتستمر الثقة بمصر تامة وتزداد على مر الأيام رسوخاً وتم ذلك وسلم لواء الحملة إلى السردار راتب باشا[١] وكان مولداً من أب شركسى ووالدة سودانية وكان شجاعاً أبي النفس لا يهاب الموت ولكنه كان كثير التردد فى الحرب والسياسة وقد أوصت الحكومة المصرية راتب باشا و بقية قواد الحملة وهم من الشركس والترك والأمريكان والأوربيين بمراعاة شروط القانون الدولى فى الحرب واتباع الأصول المتفق عليها عند الأمم المتحضرة فيمنعون الجيش عن ارتكاب أى عمل وحشى و يحملون الجند على تجنب الاساءة الى غير المحاربين من الجيوش فلا يقلعون زرعاً ولا يهلكون ضرعاً ولا يقتلون شيخاً ولا يذبحون طفلاً ولا يهينون امرأة ولا يحرقون بيتاً .

ولم تكتف الحكومة المصرية بتوصية السردار راتب باشا بكل هذه الوصايا السبع بل جعلته مسؤولا مسؤولية شخصية عن كل مخالفة تقع من هـذا القبيل وسافرت الحملة وكلها أمل فى الفوز والنجاح[٢] فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٥

ومن غرائب المصادفة أن رئيس حركة النقل فى تلك الحملة كان احمد عرابى بك الذى أعدته الظروف فى الأيام التالية لإضرام نار الفتنة العسكرية المعروفة فى التاريخ باسمه . وكان رأى الضباط الامريكيين فيه حسناً جداً ، و يقول الكولونيل داى أن عرابى كان يكون ضابطاً من خيرة الضباط فى قطر غير القطر المصرى ، فاستبدل وأقيم مكانه الضابط شا كر الشركسى . وضابط مصرى آخر هو على الرو بى افندى الذى اشتهر فيما بعد فى حوادث الثورة العرابية عهد اليه برياسة فرع المهمات وكان ضابطاً من أحسن الضباط وامتدحه رؤساؤه

(١) مات منذ عشر سنين تقريباً بعد أن عمر أكثر من مائة عام وكان طول حياته ضعيفاً ضئيلا فى بدنه . (٢) كتاب مصر المسلمة والحبشة المسيحية تأليف داى

وزملاؤه الامريكيون وكان النجاشي يوحنا يتقدم نحو الجيش المصرى المنكود الطالع كسابقه بخطى الثعالب وعزم الأسود حتى أصبح على بعد بضع ساعات من ( تياخور ) و ( عدى راسو )

وفى يوم ٧ مارس سنه ١٨٧٦[١] وقعت الواقعة ففوجىء الجيش المصرى وقائده الشركسى المولد وأركان حربه المختلط[٢] بجيش النجاشى قادماً من ناحية دنجل وامهور من الجنوب والشمال والغرب وتدفق الأحباش من كل صوب بصياح وصلصلة سلاح مزعجين وسميت موقعة ( قرع )

غير أنه إذا بكت مصر دمعاً سخيناً على أولادها الذين ضحى بهم فى تلك الأودية السحيقة جهل قوادهم الأتراك والشراكسة فإن الحبشة وأن تغنت بالفوز فى ( قرع ) لم تجد بداً من البكاء بدل الدمع دماً فان عدد قتلاها لغاية ١٠ مارس سنة ١٨٧٦ بلغ خمسة آلاف ناهيك بالجرحى والذين فروا ولم يبلغوا ديارهم إلا معطوبين

وقد ثبت أن الجيش الحبشى الذى فتك بارندروب وحملته كان يزيد على سبعين ألف مقاتل ولم يقـل الجيش الحبشى الذى قاتل فى ( قرع ) عن خمسين ألفاً

وفى ١٢ مارس دارت مفاوضات الصلح بين مندوب النجاشى و بين السردار راتب فصدر الأمر إلى السردار بعقد الصلح بأحسن ما يمكن من الشروط والجلاء عن البلاد .

---

(١) مصادفة عجيبة فى أوائل مارس سنة ٧٦ وقعت هذه الحرب فى قرع وفى أول مارس سنة ١٨٩٦ هزم الطليان فى موقع عدوة أى بعد ذلك بعشرين عاما .

(٢) كان راتب باشا شركسيا وجنرال لورنج والكرنيل داى وبورتر أمريكان وعلى بك ايطالياً حديث العهد بالاسلام وفون مكاين نمسويا وخورشيد بك سودانيا وكونت سرياني ايطالياً ومحمد بك جابر مصريا وغيرهم من ملل ونحل مختلفة .

## ٣ — الاسم والمعتقد والاخلاق والاصول الأولى

أصل الحبشة من اسمها يدل على الجمع والضم واللم وفى لغة العرب « حبش » جمع و « تحبش » القوم تجمعوا و « الحباشة » جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة . ولما صار لفظ « الحبشة » يدل على جنس معلوم من بنى آدم نسبت إليهم الشدة فى السواد وفى حدة الأصوات . وفى العربية المحكية فى مصر يقال « تحبيشة » و « حباش » مجموعة مؤلفة من جملة عناصر خصوصاً فى الطعام أو الفاكهة .

وهذا الاسم ينطبق على الواقع فإن أهل الحبشة خليط من شعوب مختلفة أولها الفرع الشرقى من أسرة حام وهو أغزرها عدداً وأقدمها إقامة وأعرقها أصلاً وهم الكثرة الغالبة فى الأمة ويرجع إحتلالهم لهضبة الحبشة إلى ما قبل العصر الحجرى ولم يتمكنوا من الاحتفاظ بنقاوة دمائهم فاختلط بهم زنوج على الفطرة من سكان النيل الأبيض وحميريون من أصل سامى من جنوب جزيرة العرب ولا تزال آثار هذا الاختلاط ظاهرة فى شمال الحبشة وأهل هذه المنطقة يسمون أنفسهم «إيتو بياقيان» وهم الذين أطلق عليهم العرب إسم الأحباش أو «الخليط» ومن كلمة حبش جاءت كلمة الأفرنج « ابيسنيا » وما زال العنصر السائد فى البلاد هو العنصر الحميرى السامى . ولو لم يمتزج هذا العنصر بالزنوج لأمكن الاحتفاظ بكل مقوماته القومية ولكن خالطته دماء سوداء وأدّى هذا الاختلاط إلى تحول فى اللون وفى شكل الشعر وتباين التقاطيع فى سحنة الرجال والنساء[1] .

واللغة الحبشية الرسمية التى يتكلمها المتعلمون فنن من اللغة السامية وترجع إلى اللغة الحميرية أقدم فروع اللغة السامية ، وقد جلبها معهم النزلاء الأول الذين نزحوا من اليمن إلى ضفاف عطبرة ومارب والنيل الأسود و بحيرة تانا .

---

(١) اصول الاجناس لينوتر وأسفار جرفيه كورتلمون ودائرة المعارف البريطانية

وكان الشعب الحبشي يدين بالوثنية الأفريقية فدخلت عليه معتقدات سامية ، ولكن الدين الإسرائيلي لم ينتشر فيه لأسباب كثيرة ، إلى أن جاء القرن الرابع المسيحي فادخل فرمنتيوس السكندري النصراني العقيدة النصرانية وما زالت ديانتهم إلى الآن ، وقد يعجب الإنسان من بعض المفارقات الاجتماعية التي تجمع بين المتناقضات فالنجاشي وهو ملك مطلق أو ملك الملوك يتمتع بسلطة لا تحدها العادات المرعية وهي قانون عرفي محفوظ غير مكتوب ولا مدوّن و يتحتم على كل إنسان أن يحترمه و يرعاه . و يخضع للنجاشي كل الرؤوس وتحت الرؤوس الدجازماك والكانيازماك وهما رئيسا الميمنة والميسرة .

وما زالت بعض الأحكام تصدر بما يخالف القوانين المعمول بها في أنحاء العالم ، لأن الشعب الحبشي صرف كل جهوده نحو الدفاع عن إستقلاله فلم ينتبه إلى ناحيات الحضارة الانسانية فإن بعض ممالك أورو با وأفريقا لم تترك له فرصة إلا ليلم شعثه و يجهز جيشاً من المحار بين الأشداء وعمله الوحيد الذود عن حياض إستقلالهم القومي وحريتهم الوطنية ثم أن أور با هذه التي لم تترك فرصة لهؤلاء المساكين يلتمسون أثناءها وسائل الترقي التي نالتها أورو با نفسها في هدوء وأمان منذ القرون الوسطى إلى الآن نرى أورو با هذه تعير الأحباش بأنهم لا يطبقون في محا كمهم قوانين بونابرت وأنهم لا يزالون يستعملون السحر والمندل في اكتشاف المجرمين و يأخذون بما يقول به طفل منوم على يَد قسيس صادق أو مشعوذ دجال ، وأنهم لا يزالون يخلطون بين القتل العمد والقتل الخطأ (١) .

وأن مسيحيتهم لا تزال فطرية ولم تخلص من شوائب قديمة . . . كل هذا تنسبه بعض ممالك أورو با للحبشة . وتنسى أنها هي السبب في بقاء تلك

(١) اصول المدنية للورد آفبوري وتاريخ العالم ل ه . ج ولز

العورات التى تضخمها وتبالغ فى وصفها وتهول بها حتى تسىء إلى سمعة الحبشة . ونسيت هذه الممالك الأوروبية أن الحبشة كانت مستقلة ومتمتعة بالحرية عند ما كانت تلك الممالك نفسها ترزح تحت نير حكام وطغاة وظالمون مستبدون من أهل البلاد وغيرهم .

ان الاحباش فضلوا أن يعيشوا أحراراً وهم حفاة عراة يقاومون الجوع والظمأ ويقاسون أهوال الفقر والفاقة . وقد وضعوا الحرية والعزة القومية فوق كل اعتبار آخر . وفى الوقت نفسه تعيش على ظهر هذه الأرض أمم سابحة فى بحبوحة من النعم وسارحة فى فردوس من الهناء المادى ، ولكنها فى الوقت نفسه رازحة تحت نير العبودية وأفرادها يلبسون الخز والديباج والحرير والسندس ورجالها يحلون صدورهم بالنياشين والأوسمة ويحملون ألقاب الشرف المصطنع والتى يظنون معها أنهم فوق البشر. ويدوسون فى رفق ولين بأقدام مكسوة بجوارب من الحرير الناعم ، وفى أحذية من جلد ملون ، لين الملمس على أرض ممهدة لا أشواك فيها ولا صخور جارحة . وأنه ليوجد رجال من العقلاء والعلماء والشرفاء والذين يؤخذ برأيهم ، ويقام لقولهم وزن ، وهؤلاء الرجال يفضلون فى صراحة وشجاعة حياة الأحباش وأخلاقهم على أنهم حفاة وعراة وفقراء ، وجائعون وعطشانون ، لأنهم متمتعون برجولتهم كاملة ، ولأنهم يعرفون أسمى حقوق البشر ويحتفظون بها ويدافعون عنها . يفضلونهم على هؤلاء الأعيان والنبلاء الناعمين المنعمين « المطقمين » « المطمرين » « المجمرين » كأنهم خيول مطهمة أعِدت لركوب سادتها فى الحرب والسلم ومع كل تلك النعومة والرشاقة وحسن القيافة تجد هؤلاء السادة بمعزل عن إدراك المثل العليا التى تمجدها أوروبا والتى أدركتها الحبشة وهى لا تزال على الفطرة الإنسانية .

وحجة هؤلاء الرجال فى هـذا الحكم الذى يبدو غريباً هى أن كل العلوم والمعارف والثقافة والتربية الفردية أو القومية وتهذيب الأمة للأم ، وعناية الوالد بالولد وتمجيد آثار الجدود ، وصيانة التقاليد فى الأسرة والقوم والوطن . وكل ما تؤدى إليه معدات الحضارة الحديثة . كل تلك ترمى إلى غاية واحدة وهى غرس بذور الحرية والشجاعة فى قلوب الأمة والاستهانه بالماديات فى سبيل المعنويات وتفضيل الحياة العليا المحفوفة بالمهالك على الحياة الدنيئة المحاطة بأنواع النعم والملذات وقد قام نزاع قديم بين علماء التربية وعلماء النفس على أى نوع من تربية الأطفال أصلح لتنميتهم على أرق المبادئ وأسماها حتى يصبحوا رجالاً يعتمدون على أنفسهم ويفضلوا الصالح العام على الصالح الخاص ويقدموا منفعة الوطن على منفعة الأسرة والفرد .

فقالوا تربية الانجلو سكسون هى المثلى ، وألفوا فى ذلك كتباً منها « سر تقدم الانجليز السكسون » وسبقه أميل روسو وأميل القرن التاسع عشر . ثم قالوا التربية الفرنسية أو الألمانية . وأنهم لكذلك و إذا بتربية الحراج والغابات والهضاب ورءوس الجبال والخلاء والعراء . تبذ كل هذه الأنظمة مع أنها تربية لا تنطوى على برنامج دقيق لآداب المائدة أو قواعد الرقص الحديث أو بيان النظم التى تحتم لبس القمصان اللامعة ، وسترات الاسموكنج والفراك ، هذه التربية البعيدة جداً عن حياة الصالونات والبعيدة جداً عن « نفاق المجتمع المتقف ثقافة عليا » بذت جميع مظاهر الحضارة الأخرى فى وجوب الدفاع عن كيان الأمة التى ينتمى الفرد اليها .

وأن أوربا التى تعيب على الحبشة ما تعيبه حتى يصفها بعض المتعنتين أنها لا تستحق وصف الأمة ولا تسمو إلى عضوية جامعـة الأمم ، تتناسى

وتتجاهل أن الحبشة قضت أكثر من ثلاثة قرون منعزلة عن العالم المتمدن ، ومحاطة بقبائل معادية تقطن الأراضى الجرداء والصحارى الصخرية الملتفة حول الهضبة الخصيبة التى أوت اليها النواة الأولى التى تكون منها الشعب الحبشى وأن هذا الهامش الصخرى الأجرد الخالى من كل عناصر الحياة ومظاهرها ليتسع حتى يبلغ ثلثماية ميلاً أحياناً فهو نطاق فظيع قاسٍ ضربته الطبيعة بيد من حديد وجعلته حائلاً لا يغلب ، عدو من الحجر الصلد ، وحارس لا ينام وان كان من جلمود الصخر .

وفى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتمتاز أمة عن الأخرى وتفضلها ، بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات وهاتيك المواقع ، ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الشدائد والملمات . فنرى أمة يهولها اعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها و يضعف من نخوتها وينهك من قوة ارادتها ، وما تزال تنحط وتتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك وهذه أمة غير صالحة للبقاء وعاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود ، وهى أمة كتب عليها الفناء وحكم عليها بالنفاد ، ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو حديثة عريقة أو طارئة ، متدينة بدين منزل أو وثنية شرقية كانت أو غربية . وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها القرباء ، تتيقظ فيها فكرة المجد كلما حاقت بها الأخطار وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها ادناءها من الموت . وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجرى فى أعوادها أمواه الحياة .

ومن هذا النوع الثانى أمة اثيوبيا فقد كانت نتيجة احتكاكها أثناء القرن التاسع عشر احتكاكاً سياسياً ، تارة تسوق اليه الصداقة وطوراً يؤدى اليه

العداء مع ثلاث ممالك من أهم ممالك العالم ، وهُنَّ مصر و بر يطانيا وايطاليا ان أفادت الحبشة من التقبيل والضم مرة والتصادم والتلاحم أخرى ، والرمى بالورد والهدايا تارة ، والتراشق بالنبال والسهام طوراً ، انها جمعت كلمتها ولمت شملها وتعلمت من سياسة هذه الدول الثلاث، وقد كانت كل منها امبراطورية فى عصرها ومن ضروب سياستها وفنــون حروبها ما جعلها فى نهاية القرن التاسع عشر تخرج ظافرة قاهرة غالبة فائزة رافعة علم الحرية تحت لواء منليك الأول أحد ملوكها وكان يعرف من قبل بملك شوا وقد صار نجاشى الحبشة وأمبراطورها بعد أن أخضع تيجريه ولاستا وأمهرا وجوجام وعناريا وجراجحة وولموا وچيما وغيرا وجوما وليكا ووالبجا وكافا .

لقد كافحت الحبشة فى سبيل حياتها قرناً كاملاً فقد بدأت أورو با تتدخل فى شؤونها سـنة ١٨٠٥ ممثلة فى سياحة شخصين هما الڤيكونت چورچ ڤالنتيا وكاتم أسراره هنرى صولت وانتهت بمعركة عدوه التى هزمت فيها ايطاليا فى شخص الجنرالات باراتيرى والبرتونى واريموندى ودابورميدا .

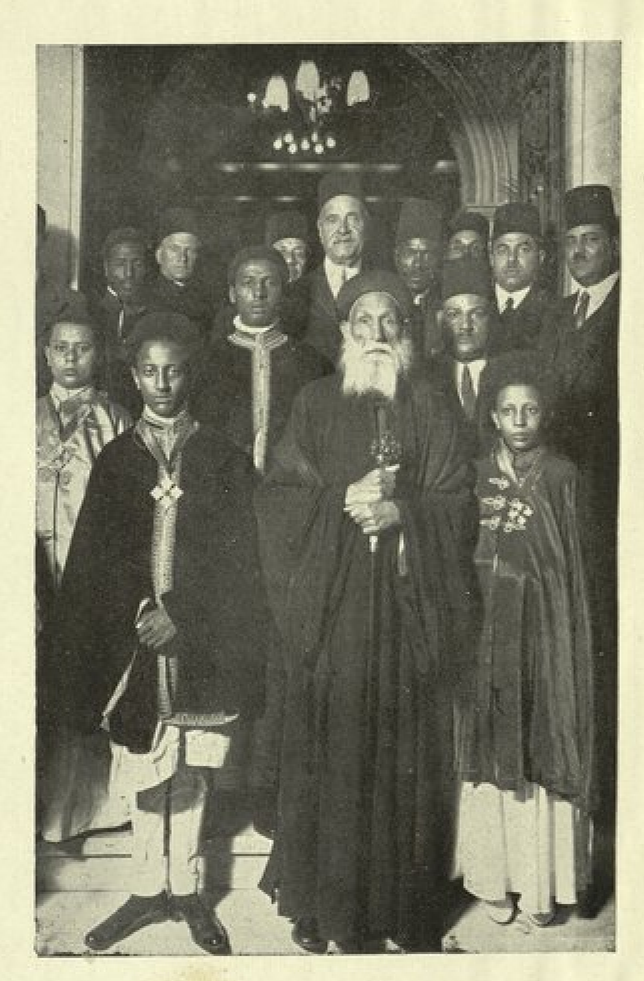
## ٤ — علاقة مصر بالحبشة وايطاليا

### ومركز مصر من دائرة النزاع فى عصبة الأمم وخارجها

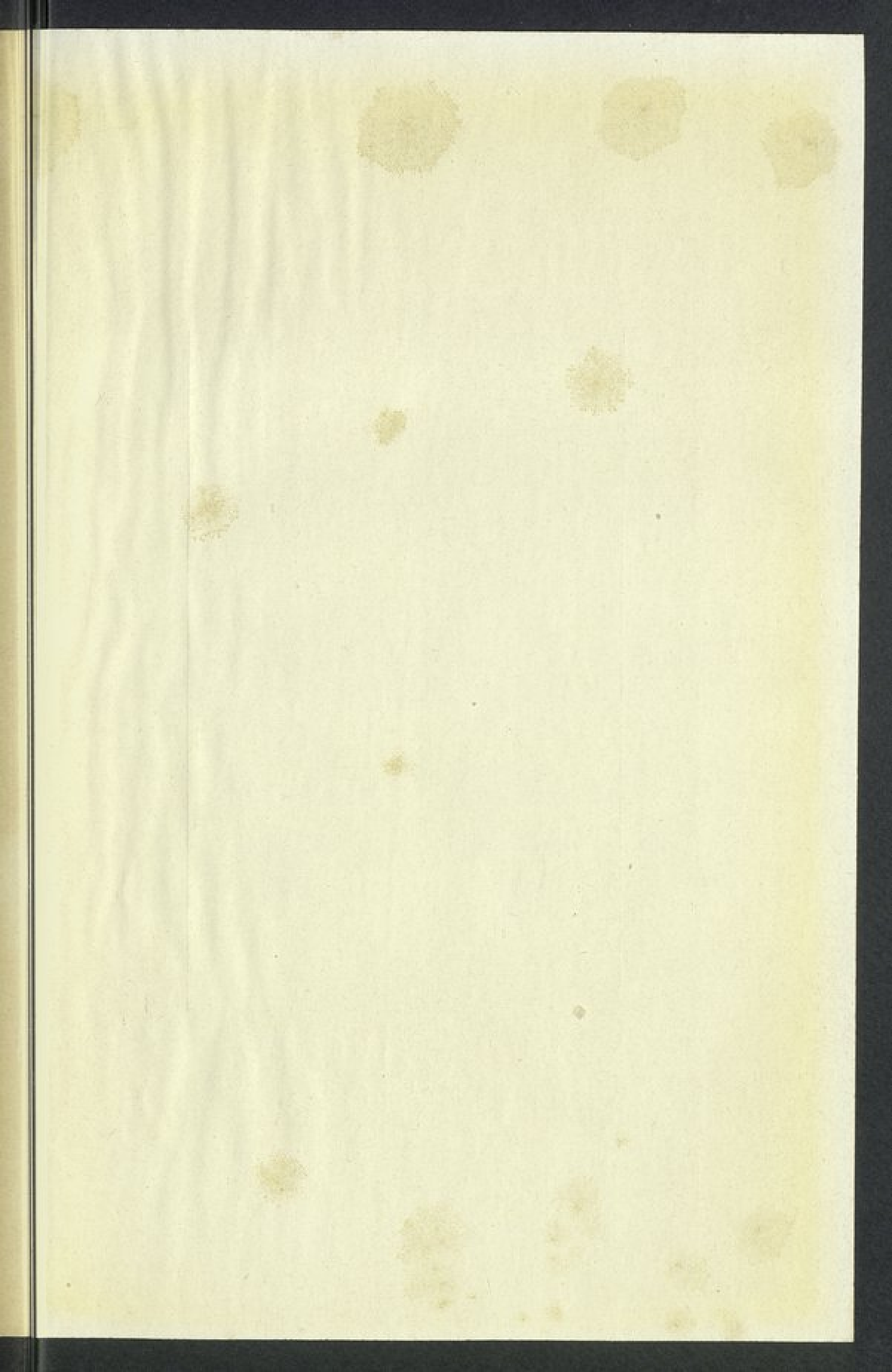
ما فتىء المصريون من بداية هذا النزاع يظهرون عطفهم نحو الحبشة لأن المصريين تناسوا أو نسوا معارك القرن الماضى واعتبروا الأحباش ناساً منهم لأن علاقة مصر بالحبشة قديمة جداً ، ولأن مسلمى الحبشة يعدون مصر مركزاً روحياً لهم وهم ينتظرون من مصر الارشاد والعطف كما أن بطريرك الأقباط فى مصر هو الرئيس الدينى للأحباش النصارى ومنهم الأسرة المالكة وأغلب رؤوس الدولة ، وفوق هذا فقد كان رئيس أساقفة الحبشة من أول عهد المسيحية حتى اليوم ينتخب من رجال الدين الأقباط وهو الآن الأنبا مرقص مطران الحبشة وأصله من بهجورة بجوار نجع حمادى . وهناك سبب آخر لاهتمام المصريين بشؤون الحبشة الحاضرة وهو أن سبعين فى المائة من مياه النيل مصدرها الحبشة عن طريق النيل الأزرق ونهر سو باط ومن الأمور الثابتة ان الأحباش لم يعبثوا منذ فجر التاريخ حتى اليوم بمصالح مصر فيما يخص المياه التى تحتاج اليها وهذا جميل لا يمكن لمصر أن تنساه[١] .

ولا شك فى أن مصر ذات نفوذ معنوى عظيم ولكنها للأسف ليست عضواً فى جمعية الأمم ولو كانت هناك وسمع صوتها بجانب أصوات الأعضاء الآخرين لكانت بعض الدول التى تعتبر حروب الفتح مبررة بالأغراض القومية، ترددت قبل أن تجاهر بالعداء مجموعة من الشعوب فيها مصر المحترمة فى الشرق وفى أورو با ولذكرت تلك الأمم ولا سيما ايطاليا ما بينها و بين مصر من المودة

(١) من خطبة لعثمان محرم باشا وزير الأشغال سابقاً ألقاها فى لندن سبتمبر سنة ١٩٣٥



صاحب الغبطة الأنبا يؤنس بطريرك الأقباط
وحوله بعض المطارنة والأعيان



والروابط التاريخية من قديم الزمان ، ولو كانت لمصر شخصية محترمة فى جنيف لكان للقاهرة أرفع مقام فى النزاع الحالى وكانت تصبح مصر عاصمة دولية تتجه اليها الأنظار وتشد اليها الرحال ، وتجتمع لديها كلمة الرجال وتمسى مفتاح الشرق الأدنى بلا جدل . ولا ريب عندنا فى أنه لو كان لمصر هذا الحق لوقفت بجانب مبادىء العصبة دون أن تنظر الى كونها متفقة وسياسة انجلترا أو ايطاليا أو غيرهما أم لا ، لأن مبادىء العصبة تضمن الحياة والحرية للأمم الصغيرة والأمم المغلوبة والأمم التى تطلب الحرية والأمم التى تقاوم الحرب وقد انضمت الى مبادئ هذه السياسة جهاراً حكومات عظمى مثل الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا . ولا نشك لحظة فى أن وجود مصر بالعصبة كان كفيلاً بمنع الحرب التى قد تمتد فتصير أوروبية فعالمية ويكون تقصير الذين قصروا فى حق مصر وفى حق العصبة سبباً فى كارثة عالمية لا يعلم مداها إلا الله [١] .

هل مصر أقل من الأحباش أو المكسيك أو كولومبيا أو العراق أو الفرس ؟ نعم إذا تساوينا ، وفاقت مصر فى بعض الشؤون ، إلا أن هذه الأمم تمتاز باستقلالها القومى أو حكمها الذاتى ، أليست مصر دولة حرة ذات سيادة ؟ ؟ . . ولو فرضنا أن هذا الاستقلال نظرى ، ألا يعادل استقلال الهند أو كندا وكلتاهما عضو فى العصبة !

وقد صدق من قال إن « مصر بلد فى هذا الجانب من الشرق بمكان القلب للطائر يرفرف بجناحيه فى افريقيا وآسيا ، و بذيله على قلب القارة السوداء [٢] »

---

(١) جاء فى خطبة العرش سنة ١٩٢٦ « ستسعى الحكومة المصرية سعيها للاندماج فى عصبة الأمم لتظفر بقسطها من الاشتراك فى الحياة الدولية »

(٢) الاستاذ عبد الرحمن عزام أحد أبطال حرب طرابلس وعضو مجلس النواب المصرى سابقاً .

## ٥ — عصبة الأمم والمشكلة الحبشية

ان المشكلة الحبشية أعوص مسألة عالجتها جامعة الأمم منذ وجودها ، وبقاء هذه العصبة أو زوالها ، رهينان بنجاحها أو فشلها ، فى الوصول إلى نتيجة تؤيدها وتعيد هيبتها ، فى نفوس الأمم والحكومات . فان لم تصل إلى هذه الغاية من استتباب السلام العالمى وتحقيق الأمن بين الأمم ، فعليها العفاء ، لا عليها السلام !
وترجع تلك المشكلة فى صورتها الحديثة إلى مسائل معلقة خاصة بتعيين الحدود والمنطقة المحايدة بينهما ، وطلب إيطاليا الخاص بتعويض عن حادثة « وال وال » وتفسيرها لنصوص معاهدتى ١٩٠٦ و ١٩٢٥ تفسيراً يخالف ما تذهب إليه الحبشة . وقد دارت فى أول الأمر بين الدولتين ( وهما عضوان فى عصبة الأمم ) مفاوضات سلمية ، بقصد تسوية النزاع بينهما تارة فى روما وطوراً فى الحبشة نفسها ، وكانت هذه المفاوضات تنجح حيناً ، وحيناً يبدو عليها الحبوط ، وطريقها بتبادل الآراء بين مندوبين مفوضين من المملكتين بالمذكرات المكتوبة . وبدأت فى أواخر فبراير وأوائل مارس سنة ١٩٣٥ وإن كان النزاع يرجع إلى أوائل سنة ١٩٣٤ ومنذ الساعة الأولى القت الحبشة اللوم على كاهل إيطاليا كلما انذرت المفاوضات بالفشل . وصرح ممثل النجاشى بأن لا وسيلة لنجاح المفاوضات وضمان السلم غير عدول إيطاليا عن خطة المعاندة ورغبتها الأجحاف بحقوق الحبشة ، وطلبت الحبشة تحقيقاً عادلاً قبل المناقشة فى مطالب إيطاليا ، وأصرت فى مذكرة بعثت بها إلى روما على طلب جواب صريح عما إذا كانت مستعدة لعرض المسألة كلها على التحكيم الدولى ؟ وتشبثت الحبشة بهذا الطلب العادل لأنه ينطبق أولاً : على روح العصر الجديد فى السياسة الدولية ، ويتفق مع

دستور عصبة الأمم ، الذى أقرته الدولتان بالإنضمام إليها ، وتشبثت إيطاليا بمعارضة طلب التحكيم . وقالت الحبشة : « لو كانت إيطاليا على حق ما عارضت فى التحكيم ، وإذا صح أن أثق بالمحكمين وأضع حظى فى أيديهم ، فليس لدى إيطاليا ما يمنعها من سلوك خطة تماثل خطتى » وكانت إيطاليا من قبل شهر فبراير بل من أواخر سنة ١٩٣٤ قد اتخذت تدابير عظيمة ، ولا سيما من الوجهة العسكرية فقابلت اصرار الحبشة على التحكيم بالامتعاض وانكرت عليها اعتبار النزاع بين الدولتين من اختصاص عصبة الأمم ، لأنها شعرت بأن الحبشة تريد استدراج إيطاليا إلى مجلس عصبة الأمم الذى اجتمع فى شهر مايو

وقد استنتج كثير من رجال السياسة أن الحبشة لا بد أن تكون مرتكنة فى تلك الخطة إلى بعض الدول العظمى وأن بريطانيا فى مقدمتها .

وكان ما قيل عن استعداد ايطاليا العظيم صحيحاً فانها بدأت بارسال الطائرات الحربيــة إلى الصومال ففى أواخر ابريل غادرت طائرة حربية مائية ايطاليا قاصدة إلى مصوع عن طريق مصر وهى تقل الجنرال بينا والكولونيل كابا والقومندان جورانو والكابتن فيورى من ضباط الجيش الايطالى ومنها الطائرة الكبرى التى كانت تقل نخبة من عظمائهـا وسقطت فى جو القطر المصرى بمن فيها من العظماء وما فيها من الوثائق .

ويظهر أن ايطاليا رأت أن تجمع بين أمرين الأول الاستمرار فى الاستعداد استعداداً عظيماً لم يسبق له مثيل فى تاريخها والثانى موافقة الحبشة على طرح المشكلة على بساط التحكيم

وعلى الرغم من موافقة ايطاليا[1] على التحكيم فما زال الريب والتشاؤم

(١) أرسلت ايطاليا عشرة آلاف عسكرى فى يوم واحد وهو ١٩٣٥/٩/٢٩

مخيمين على الأفكار فى عاصمة الأحباش واعتقد الكثيرون منهم أن ايطاليا أعلنت موافقتها على التحكيم لكى تمنع صوت الحبشة من الوصول إلى مجلس عصبة الأمم . ولذا عقبت ايطاليا على الموافقة بالتسويف والمطل فى تأليف لجنة التحكيم وهى تحاول حصر مهمة اللجنة فى نطاق حادثة ( وال وال ) فى حين أن الحبشة تصر على معالجة مسألة الحدود بحذافيرها ودفعة واحدة . وأخذ الأحباش يعتقدون أن ايطاليا لن تبقى على مسالمتها ولينها ونعومتها ، بعد أن يصفو لها الجو فى أوربا ، وتسنح لها فرصة مناسبة ولذا رأى النجاشى نفسه مضطراً إلى التخلى عن خطته السابقة ، من إهمال القيام باستعدادات عسكرية ، وان كلفته وحكومته ما لا يطيقانه وما لا يرغبان فيه من بذل مال وتضحية برجال .

وفى تلك الفترة ( أوائل مايو سنة ١٩٣٥ ) خطب سنيور سافير بوفيرا النائب الايطالى فى المجلس فقال :

« إذا كانت ايطاليا لا تطرح اليوم ، مسألة الحبشة على بساط البحث ، فستضطر غداً إلى بسطها بالنظر ، إلى عدم كفاءتها فى إدخال الحضارة والمدنية إلى بلادها الواسعة[١] وأن فرنسا و بريطانيا تقدران المهمة التى أخذتها ايطاليا على عاتقها لكى تدفع فى تلك البلاد عن كرامة العالم المتحضر والكرامة الوطنية » .

وكانت ايطاليا لا تزال تقول بواجبها نحو الانسانية والمدنية وتتخذ من هذا الواجب ذريعة للحرب والاستيلاء على البلاد .

ولم تصدر الحقائق الرائعة عن دخيلة أفكار ايطاليا فى الاستعمار إلا عن لسان السنيور موسولينى الذى صرح فى خطب رنانة أن ايطاليا تريد الأرض للاستعمار وتريد إعادة مجد الأمبراطورية الرومانية[٢] .

---

(١) تزيد مساحة الحبشة عن ايطاليا أربعة أضعاف (٢) لقد حازت انجلترا أعجاب العالم أجمعها كلمة الامم على ايطاليا لنصرة الحق عن طريق السياسة لا الحرب .

وكما هى العادة فى مثل هذه الظروف أخذت المصادر الايطالية تذيع أن جنوداً إيطالية قتلوا وسلبوا فى الاريتريا وأن قاتليهم من الأحباش . كما أذيع بعد ذلك أن العلم الايطالى أهين وأن موظفاً إيطالياً كبيراً اعتدى عليه فى محطة السكة الحديد . وكان شىء أبسط من هذا بكثير سبباً فى الحرب بين أوروبا والشرق فإن فرنسا حاربت الجزائر واحتلتها لأن الداى ( أمير البلاد ) داعب سفير فرنسا على وجهه بمروحة خفيفة كانت فى يده .

نقول ولما فكر النجاشى فى الاستعداد للطوارىء ولم يخدع بظواهر الأمور اتصلت حكومته ورجاله ببعض البلاد الأوربية لتصدير الأسلحة إليها . وكان لإيطاليا عيون وارصاد فأصبحت بواسطتهم على بينة من تقديم المعدات الحربية إلى الحبشة ومن مصادرها والوسطاء بين هذه المصادر والحبشة فبذلت المساعى لدى الحكومات التى أغضت عن إرسال هذه المعدات وبدأ السنيور جايدا فى جريدة « جوونالى ديطاليا » يهدد من طرف خفى ويقول : « ان صداقة إيطاليا تتوقف على الخطة التى تتبعها كل دولة أو بلد بأزاء ارسال المعدات الحربية إلى الحبشة » وقال سنيور شاتس فى تقرير الميزانية الذى قدم لمجلس الشيوخ « ان المعركة بين الغرب والشرق ستدور فى أفريقا » ثم أخذت إيطاليا تحتج علناً على ألمانيا لأنها ساعدت على تصدير السلاح إلى الحبشة ، وأطلقت الصحافة الايطالية لنفسها العنان ، فأخذت تنشر المقالات العنيفة ضد الحبشة وضد كل من يظهر بتعضيدها[1] .

والذى أدهش العالم أن إيطاليا كانت تلوم الحبشة على التسلح ، وتعاتب ألمانيا على معونتها ، وهى فى الوقت نفسه تكوم الأسلحة والذخيرة تكويماً فى

---

(١) رفع الحظر عن الحبشة بقرار عصبة الامم فى ١٢ اكتوبر ووصلت اليها الاسلحة

الاريتريا . فكأنها تستحل أن تتأهب بكل الوسائل لتهجم وتأبى على الحبشة أن تستعد لتدافع عن نفسها ولو كان استعدادها ضئيلاً مع الفارق بين الدولتين .

وفى أواسط مايو بدأ الرأى العام المحايد فى أوروبا ، داخل العصبة وخارجها يزداد اقتناعاً بأن إيطاليا تريد على كل حال أن تحل بالسيف والمدفع أموراً كان يمكن حلها بالطرق السلمية ، وبدأ هذا الاقتناع يزيد القلق فى العالم .

ومن سوء الحظ أن الدول الأوروبية بدأت فى سنة ١٩٣٥ تهتم اهتماماً عملياً بتنظيم جهاز لضمان السلم فى أوروبا على مبادىء عصبة الامم فتغادرها إيطاليا لتمضى فى مغامرة لا خير فيها . وأمسى « حادث الحدود البسيط » يتضخم حتى اتخذ شكل محاولة تقوم بها دولة أوروبية كبيرة للتوسع الاستعمارى فى جهة من أفريقيا يعرف العالم كله أنها كانت تمنى التوسع فيها منذ عهد بعيد. و بدأت الصحف الاوروبية تقدم لايطاليا النصائح بشأن المصاعب العسكرية والمالية والسياسية سعياً وراء كبح مطامعها الاستعمارية وعابوا عليها أنها تطلب مطالب قانونية بحملة عسكرية و بدأوا يقولون إن حرباً استعمارية كهذه تستنزف دم الجيش الايطالى وتترك إيطاليا هزيلة وتعجزها عن علاج مشاكل أوروبية مهمة مثل مشكلة النمسا .

وسلك سنيور جايدا فى جريدة جورنالى ديطاليا[1] « مسلكاً خطأ » فأخذ يوجه نقده نحو مستر ايدن أنطونى لأنه يمثل انجلترا لدى عصبة الامم ، و يفضح أموراً قال أنها حدثت فى حروب انجلترا الاستعمارية فى جنوب أفريقيا ومصر والسودان و يعيب على انجلترا أنها تعير إيطاليا بما كانت تبيحه لنفسها بالأمس . وقد أفضى النزاع الحبشى الى وجود اختلاف جوهرى فى الرأى بين إيطاليا

(١) يعد فى أوربا روح الشر الذى أوحى الى الزعيم هذه المغامرة .

وانجلترا فتبددت الجبهة المتحدة التى تحققت فى ستريزا تبدداً تاماً . وأخذت إيطاليا تحشد الجنود حتى بلغ ما جمعته مليون جندى تحت السلاح . وفى الثلث الأول من يونيو اقترح السير نورمان انجيل اقفال قناة السويس فى وجه إيطاليا وهو كاتب انجليزى نال جائزة نوبل فى العام الماضى ( ٣٤ ) لدعايته للسلم وهو صاحب كتاب « الوهم العظيم » الذى ألفه قبل الحرب الكبرى وتنبأ فيه بأن حال الامم المنتصرة فى الحروب الحديثة لن تفضل حال الامم المهزومة . وحققت الحرب العظمى جميع تكهناته[١] .

وفى أواخر يونيو تشكلت لجنة للتحكيم واجتمعت فى لاهاى ، وهى لجنة مختلطة . وقال الحبشان أنه إذا قضى المحكمون المكلفون البحث فى تسوية النزاع بحكم ضد الحبشة فانها تصدر تصريحاً تكون فيه ترضية لايطاليا .

وأخذ الدوتشى يخطب فى الملايين متهدداً ومتوعداً ، ويرد النجاشى بخطب قومية متواضعة ، قوامها الصلاة والبكاء والاستغاثة بالله والأنبياء والقديسين ، والاستنجاد بأوروبا وأمريكا المتمدينتين حتى فى الأعياد والحفلات الدينية .

ومن كلماته فى آخر يونيو :

« أنا أتحدى أى إنسان أن يبين لى أية ناحية أخلت فيها الحبشة بواجبها كعضو فى عصبة الأمم منذ ظهر هذا النزاع ، وأى عمل من أعمالنا استثار هذه الحرب ؟ إذا كان الحق فى جانبنا ، وإذا كانت الأمم المتمدنة عاجزة عن منع الحرب فلتقف على الأقل موقفاً لا يمنعنا عن الدفاع عن أنفسنا » .

وأخيراً فشلت لجنة التحكيم فى لاهاى وهى التى نص فى معاهدة الدولتين ( الحبشة وايطاليا ) فى سنة ١٩٢٨ على أن تكون مؤلفة من مندوبين عن كل

(١) اجمعت المصادر المختصة والعليمة بأن القناة لايجوز اقفالها ما لم يكن عقوبة صريحة اجماعية

دولة منهما ، ومندوب يختار من احدى البلاد المحايدة . وطالما تعبت انجلترا وفرنسا في التعجيل بتشكيل لجنة التوفيق وهما تعتقدان الخير في أن الإسراع بتشكيلها[1] .

ولما كان الشعب الانجليزى مفرطاً فى تقديس الحرية لأفراده ولا يتقيد أحد منهم بآراء غيره ولوكان أقرب الناس إليه . فقد رأينا سير چون سيمون وزير الخارجية يسير فى سياسة غايتها انصاف الحبشة واحقاق حقها وفى الوقت نفسه تتقدم لادى چون سيمون زوجته فى جريدة « چورنالى ديتاليا » بمقال تصف فيه فظاعة النخاسة التى ترتكب فى الحبشة ، ولكن على الرغم من مقالة لادى سيمون فان بيوتاً مالية كثيرة على شاطىء الأطلنطى تقدمت تعرض قروضاً ضخمة على الحبشة وتقدم لها ألوف المتطوعين بغير أجر ، من أمريكا وايرلاندا ومصر واليابان وألمانيا وتركيا . وقامت بشأن اليابان ضجة منذ زمن طويل ، فقد أشيع أنهم يفكرون فى مصاهرة النجاشى وأنهم يدربون الأحباش على حرب السيوف ، وأن لهم مصالح خطيرة فى الحبشة تجارية وزراعية واقتصادية ولذا هاج سخط الطليان على اليابان . فقال بعض ذوى الرأى فيهم أن مسلك اليابان بمثابة تحد لسلطان الاستعمار الاسيوى للأجناس البيضاء ، وأن تعاون الغربيين ضد هذا الخطر الأصفر أمر لازم ، كل هذا حاصل ودائر وايطاليا تريد اتقاء تدخل عصبة الأمم ، والزعيم يصرح بذلك فيقول : « إن ايطاليا ترفض تدخل العصبة فى الخلاف بيننا و بين الحبشة وسنقوم بانفاذ رغبتنا ومطلبنا مع اليقظة السياسية والحربية ودون اهمال الحال فى أوربا » .

وفى أواخر يونيو نشأت حالة جديدة خطيرة وهى أن انجلترا خشيت شقاقاً يدب بينها و بين فرنسا لأنها رأت لها ضلعاً قوياً مع ايطاليا وما زال «الدوتشى»

(١) ثبت أن المفاوضات وتأليف اللجان قد فشلت حيال النيات المبيتة ما دام صاحبها يجهر بأن القوة فوق الحق .

يفتن موسيو لافال و يتودد اليه و يعاهده و يعقد معه المواثيق و يذكره بتضحية ايطاليا فى الحرب العظمى بانضمامها لجانب الحلفاء واكتراثها الحاضر بحماية حدود فرنسا الشرقية فأرادت انجلترا أن تضمن اتحاد فرنسا معها فى عرض المسألة على عصبة الأمم وتنفيذ ميثاق العصبة بنصوصه . وقد زاد التقرب بين الدولتين أن ايطاليا أخذت تعرض كل يوم مطالب جديدة وشروطاً لم يسبق فحصها وهى تظهر أن الامتيازات المقترح منحها لا تكفيها ثم هى تلح فى طلب معونة مالية يصعب تقديمها لأن الدول لا تريد تعضيدها على الحرب بالقروض . وكانت ايطاليا تخشى عصبة الأمم لأنها تخشى تحول الرأى العام العالمى ضدها إذ يظهر له من خلال البطؤ الذى تقتضيه اجراآت عصبة الأمم أن القضية الايطالية غير عادلة لدى فحصها من وجهة القانون الدولى . ومن ذلك التاريخ ساءت الحالة المالية فى ايطاليا ، ولم تغطِ الحكومة أوراق النقد بنسبة أربعين فى المائة من الذهب وسقطت قيمة الليرة الايطالية فى الأسواق الخارجية .

وفى تلك الفترة بدأ سنيور جايدا خطة سيحكم التاريخ بخطأها وهى الحملة التى حملها ضد بريطانيا ونشر ما ظنه افشاء أسرارها الاستعمارية وهى أمور ثابتة فى الكتب والصحف منذ عشرات السنين ، ولا تهم أحداً سوى انجلترا والأمم التى لها بها علاقة ، وان صح له أن يذكر حوادث حرب البوير أو الصومال أو محاربة الملا[1] المفتون فلماذا لم تتدخل ايطاليا فى ذلك العهد لنصرة البوير أو الصومال فكان دفاعها يسجل لها بمداد الفخر والثناء .

وبلغت هـذه الحملة أشدها عند ما نشرت حكومة روما بياناً شبيهاً بالرسمى قالت فيه « أن صحف انجلترا تتأسف أن بريطانيا قد حصلت على امبراطوريتها العظيمة بغير تردد حتى أنها كثيراً ما وطأت تحت أقدامها صنوف الشعوب

(١) لم يكن مفتوناً بل كان زعيما عاقلا ووصف بالفتنة تقليلا لشأنه .

الأخرى وهى الآن تحاول الدفاع عن مصالح الحبشة المتوحشة ( كذا ) ضد الحكم الامبراطورى الايطالى وهذا الدفاع يؤثر فى الصداقة بيننا ( ايطاليا وانجلترا ) بدرجة شديدة[1] »

وقد أدّى طمن ايطاليا فى مسلك اليابان إلى مظاهرات عنيفة فى شوارع طوكيو ضد ايطاليا وأخيراً تورطت ايطاليا فقبلت عرض المسألة على مجلس عصبة الأمم وقيل عن بعض المصادر أنها رضيت بذلك لأنه يكسبها وقتاً لتمام الاستعداد مع أنها تشحن فى كل يوم بواخر حوافِلَ بالجند والعتاد

وقد دفعت نحو مايون جنيه لشركة قنال السويس رسوماً لمرور السفن المحملة رجالاً وسلاحاً وذخائر وكان قرارها هذا فى آخر يوليو وقد عينت أعضاء وفدها فى العصبة وهم بارون الوازى وسنيور جوارناشكيلى وكونت بيترو ماركو وسنيور كورتيزى والأستاذين ليسونى و بيراردى .

أما الانجليز فقد جعلوا على رأس وفدهم مستر أنتونى إيدن الذى تمقته ايطاليا ويحمل عليه سنيور جايدا فى جريدته صباح مساء وشدت أزره بوليم سترانج ووليم مالكن وتومسون . وفرنسا يمثلها لافال وبعض أعوانه وقد أخذت انجلترا تصرف جهوداً جبارة فى اكتساب فرنسا لصف العصبة وصار مركز لافال من أحرج المواقف لأنه أمسى كزوج الضرتين يتراوح قلبه بين الاثنتين ووراءه والد إحداهما يسوقه بالسياط وهو مجلس النواب الفرنسى فانه يأبى أن يعضد لافال ايطاليا على الحرب فتسقطه أحزاب الشمال بين عشية وضحاها .

وقد طارت فى جو مصر أثناء تلك الفترة أكثر من أربعين طائرة حربية ايطالية إلى الصومال واريتريا غير التى تشحن مفككة لتركب فى موطنها

(١) ظهرت قيمة هذا التهديد عند ما طلب الزعيم فى ١٦ أكتوبر سحب الاسطول البريطانى مقابل سحبه جنوده من ليبية .

وأخيراً قررت العصبة أن مجلسها سيجتمع فى يوم ٤ سبتمبر لبحث مسألة الحبشة بحذافيرها ، ولم تصرح ايطاليا بأنها لن تلجأ إلى القوة بل أبدت تحفظاً أزاء هذا القرار يدل على أنها لم توافق صراحة على أن يبحث المجلس فى المسألة الحبشية بجميع وجوهها فى يوم ٤ سبتمبر . وقد شعرت الحبشة أن ايطاليا تريد أن تكتسب الوقت فأخذت تستعد من جانبها وترسل جنودها إلى الجنوب والشمال ووقعت الحبشة مع اليابان عقداً فى ٢ أغسطس لتوريد مقدار هائل من الأسلحة والذخائر للتعجيل بتزويد الجيش بالعدة الحديثة واشترت الحبشة فى أسواق طوكيو ألوفاً من الأسياف اليابانية المرهفة . وما زال الرأى العام فى أوربا يؤيد الحبشة حتى قامت مظاهرات لتعضيدها فى معرض بروكسل ببلجيكا فخطب أحد الخطباء وقال :

« لقد عاد خطر الحرب وأخذت الفاشستية الايطالية تتأهب لاضرام النار واهراق الدماء فى الحبشة التى يريد شعبها أن يعيش فى ظل السلم والحرية » وكانت هذه الخطبة أمام الجناح الايطالى وأراد بعض المتظاهرين أن يحطم صورة بعض رموز الأمانى الايطالية ، وفى الحق أن اجتماع مجلس عصبة الأمم فى أوائل أغسطس لم يسفر عن شىء سوى تأجيل خطر المشكلة شهراً

وبدأ رجال السياسة الأوروبية فى دوائر العصبة وأروقتها يتكلمون عن توقيع العقوبات التى ينص عليها الميثاق ، وظن بعضهم أنها حربية ، وآخرون يحسبون أنها اقتصادية . وذكروا فى عرضها اقفال قنال السويس ، أو حصر إيطاليا حصراً بحرياً ، أو مقاطعتها اقتصادياً ومالياً(١) . وبدأت انجلترا تحرك

---

(١) تقررت المقاطعة الاقتصادية يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ .

لسانها و يدها فخطب مستر أنطونى ايدن بالراديو ، وأنذر إيطاليا بالعقوبات فى حالة ظهورها بمظهر العناد .

وفى خلال شهر أغسطس ازدادت الحال تحرجاً بين بريطانيا وايطاليا ، وشعرت بريطانيا بدنو موعد انعقاد مجلس عصبة الأمم فى ٤ سبتمبر وضرورة الانتهاء بتصميم ذى خطورة ، كما أحست بتأخرها فى التأهب لمقابلة الحوادث بعد أن استعدت إيطاليا استعداداً مهولاً فى الجو والبر والبحر . فأخذت تحشد أسطولها فى البحر الأبيض ، وتتخذ لطائراتها أماكن ثابتة ، وانشغلت بإحكام اقفال جبل طارق ، وتأمين جزر البحر الأبيض الواقعة تحت حكمها . وكان هذا الاستعداد البحرى العظيم رداً على مذكرة السنيور موسولينى للعصبة وهى مستند ضخم أوضح فيه بتفصيل مُمِلٍ أطوار الخصومة المزعومة ، وصنوف الاعتداآت التى يقول أنها وقعت من الحبشة خلال مدة طويلة ، وهذه المذكرة مصحوبة بصور فوتوغرافية . ومن الاستعدادات المهمة الإيطاليـة ربط روما بأريتريا تليفونياً ، و إعداد أسطول جوى ضخم ، و إذاعة أنباء مروعة عن حرب الغازات والجراثيم ، واختراع أشعة سرية تسمى أشعة الموت يحركها ماركونى كيف شاء فيقتل الخلائق ، ولكن هذا الخبر يحمل عناصر اختلاقه[1] .

ومذ بدأت بريطانيا مظاهراتها البحرية والجوية ، أخذت تنتشر شائعات عن امكان اتقاء الحرب وتقهقر إيطاليا ، وقبولها بامتيازات اقتصادية أقل من الانتداب لتعوض عليها خسارتها ( ؟ ! ! ) فى البر والبحر .

فشل المؤتمر الثلاثى فى باريس وهو الهيأة التحكيمية الثانية التى فشلت . أولاها اللجنة المختلطة ( لاهاى ) وهذه هى الثانية .

---

(١) تفضل العلامة ماركونى بتكذيب هـذه الشائعة المزعجة بلطف ولباقة فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥

وما زالت فرنسا و بريطانيا على استعداد لبذل الجهود لتسوية الخلاف بين الدولتين . ورجال العصبة يذكرون أن شعوب العالم جاهدت فى السنين التى تلت الحرب بجد واخلاص لايجاد عهد دولى جديد يقيها شر و يلات الحروب لأن الحرب هى العدو الألد لكل تقدم . وكانت ايطاليا فى مقدمة الامم التى سعت هذا السعى المشكور وعقدت فى بلادها مؤتمرات السلام مثل راپالو ولوكارنو وكيلوج وستريزا وقطعت معظم الدول على نفسها عهوداً فى ميثاق باريس بالعدول عن اتخاذ الحرب أداة للسياسة الوطنية وعلى هذا الرأى كان مندوبو انجلترا وفرنسا الا مندوب ايطاليا فقد قدم بياناً قوامه ٥٠٠٠ كلمة كلها مطاعن قاسية فى الحبشة وأيد مطاعنه بتقرير لوجارد و ببعض ما كتبته لادى سيمون خاصاً بتجارة الرقيق وأن الحبشة تعتدى على أرواح الطليان وأموالهم وتمتد أقدامهم الى حدود الأراضى الايطالية ورد مندوب الحبشة على تهم ايطاليا ونفاها وفندها وقد عُدَّ بعضها بمثابة اعلان حرب من ايطاليا على الحبشة .

وكانت ألمانيا تلزم الصمت وتقول صحافتها إن السياسة الألمانية لا علاقة لها بالمشكلة الحبشية ولكن المسألة تهمها من وجهة أخرى وهى ضرورة السلم واليسر فى البلدان الاخرى لتتمكن ألمانيا من عمل التجديد الوطنى فى بلادها ولكن العالم كله يعلم أن ألمانيا متربصة بايطاليا والنمسا فاذا أعلنت الحرب مدت يدها الى النمسا وضمتها اليها وحققت حلم النازى وحلم بيسمارك وحلم الجامعة الألمانية فتصبح دولة الرايش أقوى مملكة فى أوروبا ولا يغنى إيطاليا عن ذلك استعدادها على الحدود النمسوية وحشد جنودها كما فعلت فى العام الغابر عند الثورة النمسوية .
و بعض رجال السياسة على رأى خاص فى عصبة الامم وخططها وما أصابها من ضروب الفشل وما ارتكبته من الأغلاط فى أساليب عملها بتعكر جو الثقة بين الدول فصارت تتدلل عليها وتتهددها بالانسحاب بل وتنسحب فعلاً كلما حاولت أن تنفذ خططها القومية كما فعلت اليابان وألمانيا .

وفى الوقت الذى اتحدت فيه كلمة أوربا على انصاف الحبشة كان المسلمون فيها يعاهدون امبراطورهم على الدفاع عن الوطن ، وقد أشاع البعض فى مصر أن المسلمين مضطهدون فى أثيوبيا وأنهم رازحون تحت مظالم الاضطهاد الحبشى الذى منشأه التعصب الدينى وفى أواسط الصيف اجتمعت الجمعية الوطنية الإسلامية فى الحبشة وقررت مقابلة النجاشى وعرض خدمتهم العسكرية الوطنية على جلالته بشرط تسليحهم وتدريبهم تدريباً حربياً ومساواتهم باخوانهم النصارى فى بعض الحقوق . وهكذا صح ما قلناه فى غير هذا الموطن من الكتاب من أن حروب الدول فى الحبشة ساعدت على تكوينها واتحاد عناصرها .

وفى يوم ١١ سبتمبر اجتمع مجلس العصبة وألقى سير صموئيل هور خطاباً يعد من أخطر ما فاه به رجال السياسة فى هذا العام وهو من نوع الخطب التى كان يلقيها ستر زمان[١] و بريان[٢] ومن أقواله « أن الرأى العام البريطانى بصرف النظر عن بعض أخطاء قومية و بعض النقط الضعيفة التى ظهرت فيه أحياناً كان عادة يبدى بداهة سديدة فى المسائل الكبيرة الأهمية وفى حالة الأزمات الخطيرة يعرب عن صدق العزيمة والميل إلى الإنصاف واصالة الرأى والشعب البريطانى يدعم العصبة لأن نظامها يكفل السلام العام ، وان نظام عصبة الأمم هو أسمى فكرة فى تاريخ البشر ، وتحقيقه ليس من الأمور الهينة حتى فى أكثر الأحوال ملاءمة . وكان شعبنا يعمل ، ولا يزال ، لترقية الحكم الذاتى وتنميته فى دائرة الامبراطورية ، وكنت منذ أسابيع الواسطة فى حمل البرلمان البريطانى على اقرار مشروع عظيم متشعب الأبواب للحكم الذاتى فى الهند . وللأمم الصغيرة الحق فى الحياة التى تحلو لها ولها الحق فى صيانة حقوقها والأمم سواسية ، وفى وسعها أن تساعد مساعدة قيمة لخير الإنسانية ، ونعتقد ( أى الشعب البريطانى )

(١) وزير ألمانى علقوا على سياسته آمالا كباراً للسلام ولكن الموت قطع عليه خط الرجعة
(٢) وزير فرنسى حل محل الاول فى عصبة الامم ومات فضاعت آماله .

أن للأمم التى لا تزال متأخرة فى مضمار الحضارة الحق فى أن تتوقع من دون مساس باستقلالها والاعتداء على حدودها أن تقدم إليها المساعدة من الأمم التى هى أرقى منها على ترقية مواردها الطبيعية وتدعيم حياتها القومية(١) وأن الخوف من احتكار المواد الخام لاحدى الدول أو بعضها هو المعضلة الحقيقية وسبب النزاع العالمى هو اقتصادى محض . ولا يجوز لنا أن نتغافل أو ننسى أن المشاكل الحالية اقتصادية أكثر منها سياسية(٢) . فرأى الحكومة البريطانية هو هذا وهو الخوف من الاحتكار والشعب البريطانى يؤيد العصبة بسبب ولائه لها وحرصه على حياتها وانجلترا مستعدة لمقاومة كل اعتداء ولا تعدل سياستها ما دامت العصبة فى الوجود » .

وقد اقتبسنا الأفكار الجوهرية من خطبة سير سمويل هور لأنها أهم خطبة القيت فى العصبة بعد خطب سترزمان وبريان ويلفتنا فيها أنه أغفل ذكر الخلاف الناشب بين ايطاليا والحبشة ، ودار حول المسألة العالمية بلباقة ومهارة ، وقرر أن انجلترا شعباً وحكومة تعلم أن النزاع العالمى هو على «القوت» الذى أساسه المواد الخام فى المستعمرات ، وأن انجلترا مستعدة لاعادة النظر فى تقسيم هذه المواد بالعدل والانصاف ، وقد أفرغ نظريات الحرب العظمى الخاصة بحماية الأمم الضعيفة وحقها فى الحياة فى قالب لطيف ولكنه لم يجعلها أساس الكلام ، بل جعل يطمئن الأمم ذات المطامع على المواد الخام إلى درجة تقسيم الثروة العامة بين الجميع لازالة المخاوف وهذا تطور عجيب فى السياسة الدولية وقد فطنت ايطالياً أو « الدوتشى » إلى مرامى هذه الخطبة البعيده الغور .

---

(١) هذه النظرية تنقض نظرية الفاشيست لانهم يقولون إن الحبشة متأخرة ولا تستحق الحياة ولا تعتبر أمة ولا يليق أن تكون مستقلة أو عضواً فى العصبة .

(٢) هذا وجه صحيح للمسألة وقد عالجناه فى الكلام على المطامع الاستعمارية فى فصل « تطور غارات الامم » فجزمنا بأن الحرب المقبلة هى لاجل « الرغيف » ولم يكن سيرهور قد فاه بخطابه .

فتساءلت : هل انجلترا مستعدة لاعادة توزيع الانتدابات استعدادها لتوزيع المواد الخام ؟ وهذا المصدر نفسه يدهش لأن سير هور تجاهل مسألة زيادة السكان فى ايطاليا . وغاب عن هذا المصدر أن مسألة توزيع الخامات تجب مسألة زيادة النسل والغرض يغمض و يصم (١) ...

ومما يدلنا على أن سير هوركان أقرب إلى العدل ، ان الرأى البريطانى انقسم فى شأنه ونقده المتطرفون ولكن الطبقات الوسطى أعجبت به .

أما فيما يتعلق بالنزاع الجوهرى فان الساسة فى العصبة أخذوا يملون طريقة تأليف اللجان و يحاولون حل المسألة عن يد مجلس العصبة مباشرة (البندان ٤ و١٥) وقد ضغط سير هور على موسيو لاڤال حتى حدد موقفه تحديداً جلياً وانضم إلى العصبة وهو على أحر من الجمر لأنه لا يريد أن « يخون » ايطاليا ولم تنس له ايطاليا هذا الجميل بل قالت إنه بذل أقصى الجهد ولكنه خضع للتأثير المباشر . وكان مسلك « الدوتشى » فى هذا كله أنه يزدرى الأساليب السياسية و يزدرى القرارات الدولية و يريد أن يصل إلى غايته بكل الوسائل .

لم يكن سير هور أفلاطونياً فى خطبته ، بل عند ما كان صوته يهز أعواد المنابر فى جنيف ، كانت البوارج والمدمرات وحاملات الطائرات والطرادات والغواصات البريطانية تجوب البحر الأبيض وتدنو من موانيه ، وتعد الدفاع عن الثغور والجزائر والشواطئ .

وفى تلك الفترة خشى « الدوتشى » من هجوم ألمانيا على النمسا أثناء حرب الحبشة ، فتقرب إلى برلين ، ليعقد محالفة « عدم تعدى » فكان ذلك سبباً فى نفور الرأى الفرنسى منه ، وهذا الذى حوّل « دفّة » موسيو لاڤال بالعصبة

(١) كتب سياسي كبير فى جريدة أمريكية أن موسولينى فاتته فرصة نادرة لوقف الحرب وسحب جيوشه والتمسك بوعد انجلترا فى مسألة الخامات وكان حلا يستر وجهه

ومن لطائف الموقف خطاب موسيو هاواريات مندوب الحبشة فقد دق على نغمة انجيلية وقال : « نحن شعب مسيحى نطلب السلام والمحبة مع كل الشعوب حتى الدول المخاصمة لنا[١] ونحن نؤمن بالبشرية . . وأن عصبة الأمم وضعت حداً للفتوحات . و يجب الوفاء لمبادىء الدين المسيحى . . نحن لم نخلق النخاسة ولكن ورثناها عن أجدادنا ، والعبيد أسعد من عمال المصانع . ولكن ندرك أن الحرية أفضل من السعادة » وفى نظرنا ومع عطفنا على الحبشة أن هذا الخطاب يعد غلطة سياسية ، وأننا نفهم الدافع لمندوب الحبشة على هذا الخطاب ونرثى له فانه انما استنفر الشعور المسيحى ، واستصرخ الغرب واستنجد بأم الحضارة لأنه يئس من الارتكان إلى القوة المسلحة أوكاد ، ولأنه ظن أن حظيرة عصبة الأمم أصغى أذناً وألين جانباً وأرق قلباً من وزارات الخارجية وسفارات دول أوروبا ، ولو أن بجواره فى العصبة دولة كمصر، جارة إفريقية وصديقة شرقية لكانت له لهجة أخرى فى الخطاب وأسلوب آخر فى الجدل .

لأن زمن « الاستنعاج » قد مضى وانقضى[٢] . وعلى كل حال فقد نال سير هور بغيته من خطبته فقد جرت فرنسا إلى حظيرة العصبة وأقلقت بال إيطاليا وحازت ثناء الخصوم والمترددين حتى سوفيات روسيا أنفسهم ، ونفخت فى روح الأحباش وانتظر العالم كلمة لافال فقال ان العصبة وليدة آلام البشر وشيدت على الانقاض للحيلولة دون الحرب و إيمان فرنسا بها لم يضعف لأن سياسة فرنسا قائمة على عهد العصبة وعطف على عهد ستريتزا وقال « اجتمعنا بالمندو بين البريطانيين ورأينا أن رئيس الحكومة الايطالية يشعر بمثل ما نشعر به

---

(١) اقرأ « باركوا لاعنيكم ! » (٢) ماذا تربح الحبشة من الخنوع والضعة ؟ ! وفى المثل المصرى العامى « ما بالميت موته ومابه زنقة القبر » ... وهذه الخطبة هى « زنقة القبر . »

من الرغبة فى تعزيز السلم ولا خلاف بيننا و بين بريطانيا فى السياسة التى سنتبعها »

وفى هذا الوقت جاء من أمريكا صوت مستر كودل هيل يذكر إيطاليا بميثاق كيلوج الذى وقعت عليه اثنتان وستون دولة . وأيده روزفلت وأعلن حياده ، كل هذا حادث وسنيور موسولينى يقول إن بريطانيا تعارضه لأنها تريد الاستيلاء على الحبشة !

وأثناء ذلك تحركت مسألة قنال السويس فكان الرأى القانونى هو على استمرار فتحها لجميع الدول فى جميع الأوقات . ودهش العالم أجمع لأن مصر ذات الشأن العظيم فى النزاع لا يسمع لها صوت فى عصبة الأمم لأنها ليست عضواً فيها مع أن دولاً أصغر منها بمراحل تتمتع بالعضوية كفنزويلا وباراجواى

وهذا أمر عجيب لأن ساسة مصر لم يحاولوا ذلك من سنة ١٩٢٢ مع أنه إذا حدثت حرب لن ترغم مصر على الدخول فيها فقط ، بل ستصير ميداناً فعلياً لها ، وقد دلت الاستعدادات فى أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر على أن مصر تتوقع الحرب وتخشى الغازات الخانقة ونسف القنال وغزو إيطاليا من الحدود الغربية ونسف خزان أسوان[١] واشعال النار فى مخازن البترول بالسويس ( الناحية المعروفة عند أهل السويس بالزيتية ) وقد أخذت إيطاليا تستعد فى الجزر الاثنتى عشرة وتحصنها وتلغم شواطئها مقابل استعداد انجلترا العظيم فى البحر الأبيض . وتحمس الأحباش فألفوا فرقاً من النساء بقيادة الأمبراطورة[٢] .

ولا نظن أن دولة فى التاريخ القديم أو الحديث نالت العطف الذى نالته الحبشة فان أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقا تضافرت جميعها على نصرتها .

---

(١) خبر نشرته مجلة سياسية شهيرة وأكدت ارتكانها فيه على أوثق المصادر .
(٢) هذا يذكرنا بنساء العرب فى الحروب فى الجاهلية والاسلام .

ومن محاسن المصادفة أن الحبشة[1] لم تحرم من تعضيد بعض أبطال التاريخ الحديث أمثال ديڤاليرا حاكم ايرلاندا الشهير ورئيس دولتها فقد حضر مندوباً عن وطنه وهذا امتياز عظيم يقوم حجة على أعداء الحرية ، فلولا استقلال ايرلاندا الذى نالته بشق الأنفس ما استطاعت أن تقف بجانب الدول العظمى فى عصبة الأمم بل كانت لا تزال معدودة « مديرية أو محافظة » بريطانية . خطب فقال :

« ستقوم ايرلاندا بواجبها كاملاً ، ليس الانسان وحشاً ضارياً وليس النصر دائماً للأقوى والأكثر شراسة . ( اقرأ بين السطور قوله أنظروا لنا وقارنوا ! ) إذا كان واحد من المعتدين تطلق يده والآخر تُغَل يده فخير لنا أن نعود إلى نظام المعاهدات السرية » . وهو يشير بذلك إلى منع السلاح عن الحبشة .

وحتى مملكة ابن سعود الوهابية ( ولا نقول هذا استصغاراً لشأنها ، بل لبعدها عن حلبة الوغى ) عرضت معاونتها العسكرية لعصبة الأمم فى مقاومة التعدى الايطالى و بذلك يكون السنيور موسولينى قد فاز فى حشد كل الدول المسيحية والإسلامية والوثنية ضد إيطاليا فى الشرق الأدنى والأوسط والأقصى .

لقد أسفر اجتماع العصبة عن تأليف لجنة خماسية لحل النزاع حلا مباشراً نهائياً وعرض هذا الحل على الدولتين المتنازعتين فان قبلتاه حباً وكرامة ، وان رفضته إحداهما تكأكأ الكل عليها لقهرها وارغامها . وقد أتمت اللجنة الفرعية عملها فى وضع التقرير بالمقترحات فى نصف شهر سبتمبر وقد بنى على أساس اقتراحات مؤتمر باريس التى رفضتها إيطاليا وقد وضع بالاجماع مع الحرص على سلامة حقوق السيادة القومية .

---

(١) تألفت فى اليابان جمعية لنصرة الحبشة فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ وأرسل إمام اليمن يحيى بعثة خاصة تحمل ١٥ طناً من الهدايا وقد وافق الامام على عدم بيع الأنعام والحبوب لأعداء الحبشة ورفض رجاء الطليان أن ينقلوا جرحاهم إلى بلاده لأنه محايد .

وفى الوقت نفسه ذاع أن الحرب تعلن فى آخر سبتمبر والرأى العام فى الحبشة على أن زمن الخطب والمفاوضات قد انتهى وأن معين عصبة الأمم قد نضب وعجزها ظهر وثبت .

وقد رفضت إيطاليا جميع اقتراحات اللجنة الخماسية بغير تردد وهى تتلخص فى أبطال الرقيق وتشجيع الاستثمار الاقتصادى لموارد الحبشة ورقابة الأمور المالية والضرائب الحبشية وتخلى انجلترا وفرنسا عن شقة من الأرض فى الصومال لايطاليا واعطاء الحبشة منفذاً الى البحر . وفى ٢١ سبتمبر اجتمع وزراء إيطاليا وخطبهم الدوتشى ساعة وقرروا بعد المناقشة رفض الاقتراحات بأ كملها .

ودهش الرأى العام العالمى من هذا الرفض واستحكمت حلقات العداء بين انجلترا وايطاليا وعادت صحف إيطاليا للحملة على أنطونى إيدن الذى تعتبره « شيطان المسألة الحبشية » وأعلنت انجلترا أنه لا نزاع بينها و بين إيطاليا ، بل أن النزاع بين إيطاليا وعصبة الأمم وشاع أن ملك إيطاليا المحبوب من جميع العالم والذى لم يسمع صوت جلالته فى هذه المدة الا قليلا ، أرسل إلى ملك انجلترا خطاباً بخط يده يناشده فيه أن يوفق بين الحكومتين ، وشاع أيضاً أن جلالته لا يحب الحرب ومثله فى ذلك مثل قداسة البابا الذى خطب لمصلحة السلام كما يقتضيه واجبه ومركزه [١] .

ولكن كثيرين من أهل التفكير على أن رفض إيطاليا يعد من قبيل الارهاب و إظهار الثبات وعدم التزعزع حيال اتحاد العالم . ولكنهم لن يلبثوا أن يلينوا وآية لينهم أن يناقشوا الاقتراحات . وفعلاً بعد أن هدأت العاصفة وجست إيطاليا نبض أوروبا صرح الدوتشى بأن الأرض المعروضة عليه مقحلة

(١) عرف عن سليل أسرة سافويا بغضه اهراق الدماء وحبه أن يختم عهده بسلام ولكن الفاشستية قلبت وجه الامور .

وجدباء[١] وبذلك خرجت إيطاليا من صمتها وعدلت عن عنادها وأظهر سنيور جايدا « روح الشر » فى هذه المشكلة نوعاً من المسالمة .

وأقترح مندوب إيطاليا تجريد الحبشة تجريداً تاماً من السلاح وأن تتولى إيطاليا إعادة تنظيم جيشها وأن تتخلى الحبشة لايطاليا عن منطقة من أراضيها ممتدة إلى غربى أديس أبابا من الشمال إلى الجنوب لتصل بين الأريتريا والصومال الايطالى وأصرار إيطاليا على أن أى منفذ بحرى يعطى للحبشة يجب أن يكون عن طريق الممتلكات الايطالية .

وقال بعضهم متهكماً فى التعليق على هذه الشروط أنها لا تفرض حتى فى حالة انتصار إيطاليا انتصاراً باهراً بعد حروب مهلكة فما بالك بطلبها أثناء السلام.

أما الحبشة فقد قبلت مشروع الخمسة بدون تحفظ .

وما زالت إيطاليا تهدد بالانسحاب من العصبة .

وقد جندت كل كائن ممكن تجنيده حتى أنها نبشت الأرض على الكبتن جينون وهو ضابط فى الستين من عمره ( كان عمره ٢٠ عاماً فى الموقعة ) نجا مع الأفراد القلائل الذين نجوا من معركة عدوه ! وقيل إنه تطوع للخدمة فى شرق أفريقيا . ونحن نعجب بشهامة هذا الجندى الشيخ لا لأنه ساع إلى حتفه بظلفه ، فان الأعمار بيد الله ، ولكن لأنه يعود عن طيب خاطر إلى المكان الذى رأى فيه الموت رأى العين بعد انقضاء أربعين عاماً تحولت خلالها حاله وابيض شعره وانحنى ظهره وضعضعته الأيام ولكنها لم تفت فى عضده وإن كان فى إيطاليا من طرازه واحد فرد ففى الحبشة ألوف ينتظرون الحرب والصدام فانها تستعد لتجنيد مليون مقاتل فتدفق سيل من رؤساء القبائل للاندماج فى الجيش .

(١) يخيل لمن يقرأ اعتراض السنيور أن أرض الحبشة ميراث عائلى له ولبنى وطنه ! !

ومما يؤسف له أن مستر فرنك كيلوج، صاحب الميثاق السلمى الدولى الشهير، قد استقال من عضوية محكمة لاهاى الدولية والسبب الظاهر أحوال ترغمه على التغيب عن المحكمة، والسبب الصحيح، ضجره وقرفه مما وصلت اليه حالة بعض زعماء شعوب أوروبا ممن وقعوا على ميثاقه.

وقد خيم اليأس على نفوس العصبة بعد رد الدوتشى فان رده لا يدل على أنه عاد إلى المسالمة والوفاق، وقد قدم هذا الرد لأنه يعلم أن الحبشة لا تقبله وأن أعضاء العصبة لن يقبلوه. ولم يبق إلا أن تنسحب إيطاليا من العصبة.

وأخذت الأنباء تتسرب بأن بعض أعضاء مجلس الشيوخ وأركان الحرب[1] فى إيطاليا أخذت تتشاءم من الحرب وتسىء الظن بنتائجها وتتوقع الشر والسوء من مغبتهـا، ويتصل بعضهم بجلالة فيكتور عمانوئيل ليقنع جلالته بذلك لما هو مشهور عنه من حب الخير والسلم و بغض الحرب واهراق الدماء. ولا يزال بعض النوكى والحمقى يظنون أن الدوتشى قد يعود إلى المصالحة و يظنون أعماله من قبيل « البلف » والتهويش والحقيقة فى ذهن العقلاء والمفكرين أن الرجل جاد الجد كله، قد يكون مغامراً وقد يكون شاعراً بالخطر، ولكنه بلا ريب قد وزن كل الأمور وحسب لكل شىء حسابه، ولم تفته صغيرة ولا كبيرة، وأن حوله فئة من أهل السياسة والحرب قد عاونوه على الوصول إلى نتيجة تسره وتسرهم واتخذوا لها أهبتهم، ولسانهم الناطق سنيور جايدا منشىء جورنالى ديتاليا وشاعر الفاشستيّة المداح والهجاء ورافع لواء المعاداة لانجلترا وفاضح أسرار الاستعمار على زعمه. وعلى هذا الرأى حكومة الحبشة وشعبها ومعظم رجال السياسة والصحافة فى انجلترا والمانيا. بل أن حوادث الأيام نفسها تؤيد صحة

(١) قيل إن جنرال بادوليو الذى ندبه الزعيم للسفر فوصل فى ١٧ اكتوبر الى أريتريا كان ضد الحرب

عزم الدوتشى ، فلم تر في تاريخ العالم أن عشرة آلاف رجل يرسلون فى يوم واحد لميدان الحرب دون أن تكون الحرب مؤكدة وواقعة . وقد وقعت فعلاً !

كل هذا حادث وعصبة الأمم مستمرة فى أداء عملها وأعضاؤها يعتقدون أنهم قادرون على منع الحرب و بعد أن رفضت ايطاليا اقتراحات الخمسة وقدمت اقتراحات مستحيلة القبول عقدت لجنة الثلاثة عشر المؤلفة من جميع أعضاء مجلس العصبة ما عدا العضو الايطالى لوضع تقرير عن النزاع بين ايطاليا والحبشة فقرر شكر امبراطور الحبشة لأنه أمر بسحب جنوده ثلاثين كيلومتراً وراء الحدود رغبة منه فى اجتناب الحوادث وتلت طلبه البرقى بإرسال لجنة دولية ترقب من يبدأ بالاعتداء فاتفقت على صيغة الجواب ووعدته خيراً و يعد هذان العملان حكماً تمهيدياً ضد ايطاليا ولهذا الاجتماع الاجماعى سابقتان فى حرب جران شاكو وفى نزاع الصين واليابان وستظل دورة انعقاد الجمعية العمومية للعصبة مستمرة الى أن ينجلى الموقف فأحتج مندوب ايطاليا على استمرار الاجتماع الى أجل غير مسمى بحجة أن العصبة غير مرتبطة ارتباطاً رسمياً بالنزاع الناشب .

ومما يجدر ملاحظته من الوجهتين السياسية والقانونية أن ايطاليا التى تتهدد العصبة بالانسحاب وتحاول التقليل من قدر قراراتها فى نظر العالم لم تترك ناحية من ناحيات النقد القانونى ضد العصبة إلا تناولتها بكثير من الدهاء والحيطة كما يفعل أمهر المحامين وأحذقهم فمن ذلك قولهم إن الوقت مناسب لتطبيق البند ١٦ من عهد العصبة على الحبشة وهو ينص على « اخراج العضو الذى لا يليق أن يبقى فى العصبة » . . . والبند ٢٢ الخاص بالانتداب وأن العقوبات لا تفرض إلا فى حالة الانشقاق المفاجىء لا فى الحالة الراهنة حيث سبق للمجلس أن تدخل فى الأمر وقد تخلفت إيطاليا عن حضور جلسة ٢٦ سبتمبر لتحتفظ بكامل حريتها فلا يصدر أى قرار فى مواجهتها .

وفى وسط هذا التوتر الشديد فى أعصاب العالم تكلم سنيور بنديتو موسولينى فقال (٢٧ سبتمبر ١٩٣٥) « لقـد فكرت ملياً وحسبت كثيراً ووزنت كل شىء ولن يستطيع أحد وقف مليونين من أبناء ايطاليا يتوقون إلى شرف الذهاب الى شرقى افريقيا لخدمة وطنهم والموت فى سبيله اذا قضت الضرورة وأنا اختار التضحية بالحياة على السلام (كذا). وقد تقدم الدوتشى بقلمه يكتب بدون توقيع فى جريدة المنبر (تريبونا) التى صدرت فى ٢٧ سبتمبر بروما فقال « ان العقوبات لا وجود لها فى ميثاق العصبة والمادة ١٦ تشير فقط إلى قطع العلاقات المالية والتجارية ولما كانت ايطاليا الفاشستية لم تقترض درهماً واحداً فى تاريخها فلا يمكن أن ينكر عليها ما لم تطلبه والبلاد التى تدعو بالحاح الى توقيع العقوبات هى التى تبيعنا أكثر مما تشترى منا ، فاذا لم تشأ أن تبيع لنا أو تشترى منا فإننا نشكرها . ولكن اذا حاصرونا فمعنى ذلك الحرب ونحن نحارب أيضاً » .

وقد انتهز خصوم ايطاليا فرصة هـذا التصريح وقالوا إن الحبشة قد تصير كابوريتو ثانية وقد تمسى الحبشة عند ذلك مقبرة الفاشيزم[١] .

وعلى الرغم من تفاؤل الدوتشى وفرحه بالحرب والتضحية والموت فى سبيل الحبشة وتفضيله القتل على السلم ، فان صوتاً من ايطاليا ، ومن نفس هؤلاء الشبان الذى يذكرهم جاء يقلل من حدة هذه اللهجة و يغمرها بشىء من المرطبات . فقد نشرت صحيفة عربية كبرى حديث شاب ايطالى جاء فيه اعتذار عجيب عن الاقدام على الحرب :

« لسنا مقبلين على هذا الجهاد بقلوب مرحة . . . ولكنا نشعر بأن ايطاليا

(١) كابوريتو منطقة إيطالية على نهر ايزونزو واشتهرت فى الحرب العالمية بهزيمة الايطاليين أمام النمسا وألمانيا فى اكتوبر سنة ١٩١٧ شر هزيمة بقيادة كادورنا وجرازيانى وغيرهما .

مضطرة للتوسع والا تنفجر ونعلم أن أمامنا أهوالاً ومصاعب وخسائر لا بد أن تتحملها ، ولن يكون هذا تسلية ولهواً لجيلنا الحاضر[١] » .

وفجأة تغيرت لهجة الدوتشى وأعوانه بعد أن أيقنوا أن العصبة جادة فى فى خطتها ومصممة على تنفيذ ما صحت عزيمتها على تنفيذه ، فعدل بارون الويزى مندوب ايطاليا عن مغادرة جنيف تنفيذاً لأوامر جديدة وصلت اليه من روما . واجتمع وزراء ايطاليا فى يوم ٢٨ سبتمبر وعرض عليهم موسولينى تطورات الحالة منذ الاجتماع الأخير واعتذر عن رفض اقتراح الخمسة بحجة أنها أغفلت مصالح ايطاليا التى تؤيدها وتؤكدها معاهدات ١٨٨٩ و ١٩٠٦ و ١٩٢٥ ( وأغفل الدوتشى معاهدة ١٨٩٦ التى عقدت بعد معركة عدوة ! ) وسخر من حسن الظن بالنجاشى فى سحب جنوده وراء الحدود وأخيراً قرر المجلس ما يأتى :

أولاً — ايطاليا لن تبادر العصبة بالعداء

ثانياً — ايطاليا تحترم المصالح البريطانية وهى مستعدة لعقد معاهدة مع انجلترا تطمئنها على مصالحها فى شرق افريقيا .

ثالثاً — تجتنب ايطاليا كل ما من شأنه توسيع الخلاف بينها و بين الحبشة

وقد فسر هذا العمل بأنه مساومة ايطالية ومناورة جديدة للدخول فى مفاوضة ثلاثية خارج العصبة وأن معناه أيضاً تأجيل اعلان الحرب .

ولكن الطليان يعتبرون هـذا البلاغ تحدياً لانجلترا، وانجلترا ترفض أن تتفاوض خارج العصبة .

وقد انتهى شهر سبتمبر ولم تعلن الحرب ولم تنجح العصبة فى حسم النزاع

---

(١) تلغرافات الاهرام الخاصة يوم ١٩٣٥/٩/٢٨ ص ٦ عمود ٣ — رومه بتاريخ ١٩٣٥/٩/٢٧

ولم تتزحزح ايطاليا عن موقفها الا بحيلة تقصد بها إلى كسب الوقت واحداث الفشل فى صفوف العصبة .

وأراد موسولينى أن يختم الشهر بحادث سياسى فصرح للصحف(١) بأن بريطانيا وايطاليا اتفقتا على التهام الحبشة ، وأن بريطانيا تعتبر استقلال الحبشة فى دور التكوين وقد وقعت (أنا موسولينى) فى سنة ١٩٢٥ مع سير رونالد جراهام سفير انجلترا (كان مستشار الداخلية فى مصر) اتفاقاً بتقسيم الحبشة تقسيماً فعلياً بيننا . واشتركت معنا فرنسا للمحافظة على حقوقها الاقتصادية ولا بد لنا من الاحتلال العسكرى ضد الفوضى والوحشية كما حدث فى العراق ومراكش وقد أخطرت بريطانيا بالخطة التى ستنتهجها ايطاليا فى ١/٢٩/ ١٩٣٥ ، ثم أعادت اخطارها فى ١٩٣٥/٥/١

أما سفر وحدات الجيش فكان جهاراً عن طريق قناة السويس فلماذا لم تحرك بريطانيا ساكناً ؟ ولماذا لم تحتج إلا بعد زيارة كابتن ايدن لروما ؟

بعد أن مضى على هذا التصريح يومان اعتدت ايطاليا على الحبشة بالطائرات والمدافع بدون إعلان حرب (٢ اكتوبر سنة ١٩٣٥) وما زالت تحارب وتخذل إلى يوم ٢١ اكتوبر الذى سبقته فترة سكون وتردد ، وقد رفعت العصبة « الحظر » فأرسلت الدول بالأسلحة إلى الحبشة ، وأجمعت الأمم على مقت ايطاليا خصوصاً بعد أن ظهر عجزها عن اكتساح الحبشة فى أسبوع كما أنذرت وأمّلت وادّعت ولم تكسب إلا تنفيذ العقوبات الاقتصادية كنص البند السادس عشر من عهد العصبة .

---

(١) بتى بارزيان ١٩٣٥/٩/٢٩

# ٦ – تطور الغـــارات على الأمم

## ا – الأمور الثلاثة التى قيل إنها سبب الحرب

لقد شغلت الحـرب الحبشية الايطالية الحاضرة أذهان الكتاب والقراء ورجال السياسة وعلماء الاجتماع فى كل مكان ، حتى غضوا الطرف عن مسألة تاريخية كبرى لها أكبر الأثر فى تكوين النزاع السياسى الذى تنشأ عنه الحرب .

فقد نظروا جميعهم الى تلك الحرب بوصفها عملاً دولياً عدائياً ترتب على ثلاثة أمور .

الأمر الأول : الأخذ بالثار لهزيمة عدوة الشهيرة .

الأمر الثانى : رغبة إيطاليا فى التوسع الاستعمارى للحصول على ما يسد الرمق

الأمر الثالث : رغبة زعيم إيطاليا فى احراز نصر خارجي يعيد لأرض ايطاليا وشعبها مجد الدولة الرومانية البائدة .

والأمران الأول والثالث غير جديرين بالاكتراث من الناحية الدولية العامة ، ولا يهمان أحداً سوى إيطاليا نفسها ، وقد لا يهمان فريقاً كبيراً من الشعب الايطالى المعاصر ، لأن موقعة عـدوة وقعت فى سنة ١٨٩٦ أى منذ أربعين عاماً تامة والكثرة الساحقة ممن حضروها أو تحمسوا لها أو شربوا مرارتها قد انقرضت أو كادت ، ولم يبق لها ذكر إلا فى بطون الكتب ، وليست عدوه « الزاسا » ثانية انتزعت من جسم الوطن ، حتى تبقى نيران الثار مشتعلة فى قلوب بنيها ولا تطفأ إلا أن تسترد وتعود إلى أحضان الأم الرؤوم (١) .

---

(١) راجع كتاب (La revanche) تأليف مدام جوليت آدم التى لا تزال على قيد الحياة وقد احتفل يوم ٧ اكتوبر سنة ١٩٣٥ فى باريس ببلوغها ٩٩ سنة

هذا عن الأمر الأول وهو تعليل الحرب التى نشبب برغبة الأخذ بالثار

الأمر الثالث وهو رغبة زعيم إيطاليا فى احراز نصر خارجي يعيد المجد

وهذا الأمر يعد مغالطة تاريخية وسفسطة سياسية لأن العقل السليم والنظر الصادق لا يسمحان لصاحبهما أن يتخيل أن مجرد الانتساب إلى شعب عريق قد قامت قيامته واندثرت معالمه وانحلت عناصر حضارته ، ومحيت آية وجوده من صحيفة الوجود ، ان مجرد الانتساب إلى هذا الشعب يكفى لاعادته سيرته الأولى ، لأن أسباب الانحلال التى اعترت كيان الأمبراطورية الرومانية ذهبت بتلك الأمبراطورية[1] كما أن عناصر التكوين وتاريخ النشأة لتلك الأمبراطورية ليست متوافرة كلها أو معظمها فى الأمة الايطالية الحديثة التى دخلت فى التاريخ الحديث بوصفها وحدة قومية يرجع الفضل فيها إلى ثلاثة من أعيان السياسة الوطنية وهم متزينى وكريسپي وكافور . فنهضة إيطاليا الحديثة نهضة اقتصادية وسياسية وليست نهضة حربية كالتى قامت عليها أمبراطورية روما[2] .

واذا رجعنا إلى كتب متزينى[3] وخطب كافور نجد أنهما لم يرميا قط إلى عظمة امبراطورية ولا توسع استعمارى بل كانا يرميان إلى تحرير وطنهما من ربق الاحتلال النمسوى والفرنسى واصلاح الشؤون الداخلية . وهذا ليس بالتاريخ القديم بل يرجع إلى القرن التاسع عشر فان رومه لم تحرر من الجنود الأجنبية إلا فى حرب السبعين أى منذ ستين عاماً تقريباً .

---

(١) راجع كتاب جيبون (Decline and fall of the Roman Empire)
(٢) هذا لا ينقص من مجد غاريبلدى ، ولكنه كان بطلا وقتياً لا غازياً عالمياً .
(٣) واجبات الانسان Il devori de l'hommo

ولا يكفى للزعيم أن يكشف العمال عن بضعة مبان قديمة أو بعض « أقواس نصر » خاوية كحمام كراكلا أو اصطبل نيرون حتى يعيد مجداً بناه جبابرة الحرب ودهاة السياسة أمثال يوليوس قيصر وأغسطس وشيشرون وأن الامبراطورية الرومانية هزمها العرب فى ساحات الشام ( واقعة اليرموك ) كما هزم البقية الباقية منها غزاة الترك فى الاستيلاء على القسطنطينية .

إذن يكون الكلام على إعادة مجد الامبراطورية الرومانية التى فتحت العالم مجرد كلام جميل وأحلام زاهية وأمانى معسولة لا يصح فى الأفهام أن يقام لها وزن . وقد تصلح بروقاً خلابة لاعين الشعب فى بلاده . وهى على حد قول الانجليز اللاذع « بضاعة لا تصلح للتصدير » وفى ظنى أن ذكاء الزعيم يقنعه بصحة هذا الرأى .

بقى الأمر الثانى الذى يصح أن يكون هو السبب الصحيح للحرب التى نشبت ولم يحصل إعلانها وهو رغبة إيطاليا فى التوسع الاستعمارى .

## ب — التوسع الاستعمارى الحديث

ومهما يكن رأى دعاة الاستعمار ، فلا يمكن أن يفيض أحدهم فى البحث ويفى الموضوع حقه بمثل ما صنع پول ديبوا فى كتابه الممتع « الاستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر (١) » فان هذا العالم المدقق قسم الاستعمار الأوروبى إلى ثلاثة أقسام .

الأول — الهجوم على القارات الآهلة بالمتوحشين ( استراليا وأمريكا )

الثانى — استعمار وطن الشعوب الآيلة إلى الانحلال ( كالهند والصين )

الثالث — الهجوم على القارة السوداء ( أفريقا ) ولكن العالم ديبوا لم يفته

(١) Paul Dubois—La Colonisation Européenne au 19ème siècle.

وهو يدافع عن بعض نظريات المستعمرين الذين اتقنوا سياسة الاستعمار حتى كادوا يجعلونها فناً جميلا ، أن يرجع الأمور إلى اصولها فأشار من طرف خفى إلى وجوه الشبه بين الاستعمار الحديث و بين غارات القبائل البربرية فى القرون الوسطى على الأمم المتحضرة التى دقت نواقيسها فأضاعها الترف والتطرف فى نعومة المدنية واستنامت إلى ملذات الرفاهية .

ج — هجوم البرابرة على الأمم المتحضرة

تاريخ الأمم هو تاريخ « النزوحات » التى حصلت بينها وهى أشبه الأشياء بالتموجات الانسانية الحية ، ومظهرها أن قبائل رحالة قوية يضيق بها العيش والمرعى فى أوطانها فتنزح على غير هدى فى طلب الرزق ولا تلبث أن تنقض على بلاد آهلة بالسكان وشعوب فى درجات مختلفة من الحضارة فتنزل عليها نزول الصاعقة وتستولى عليها فتبيد حضارتها تارة وطوراً تخضعها لنفوذها ، فاذا تم الاخضاع ، فإما تندمج فيها وتفقد على مر السنين وكر الأعوام مؤهلات الغزو والطغيان ، و إما تحتفظ بقوتها فتفنى الشعوب الأصيلة عن آخرها .

وضرب العلماء أمثالاً لذلك هجوم الهون والفندال والفيز يجوت على روما وأورو با الوسطى وأسبانيا فحكموها بعد أن أزالوا ملكها وخربوها حتى صار اسم « الفندال » علماً على التخريب[1] .

وكان منهم امبراطرة أمثال كرا كلا وكانت لهم نظم فطرية أضافوها إلى ما وجدوه فى حوزة الممالك المقهورة . وهجم النورسمان والسكسون من شمال أورو با على انجلترا وايرلاندا . فغلبوا القلتيين أو السلتيين على أمرهم .

(١) فندالزم جريمة يعاقب عليها القانون مثل تشويه الآثار

هذا فى الغرب ، أما فى الشرق فقد أغار الموغول والتتارعلى بغداد فى أواخر القرن السابع الهجرى ، وهى فى قمة مجدها تحت حكم العباسيين ، فصنعوا بها ما صنعوا من تخريب وتقتيل وتحطيم لآثار الحضارة حتى جعلوا اهراماً من الرؤوس البشرية وأغرقوا كل ما وصلت إليه أيديهم من الكتب المخطوطة فى نهر دجلة .

وكان لهؤلاء المدمرين زعماء نابهون أمثـال جنكيزخان وتيمورلنك الأعرج وغيرهما .

وإن المؤرخين ليصعدون فى سلم التاريخ الى ما هو أبعد من ذلك فيذكرون هجرات قبل التاريخ مثل نزوح قبائل اليمن بعد خراب سد مأرب الى الشمال ، ومنهم قبائل احتلت الحجاز ومكة وطردت القبائل السابقة كقبيلة جرهم وصعدوا الى الهيكسوس الذين أغاروا على مصر وملكوها وقهروا ملوكها وأغارات القبائل الوحشية على بابل وآشور ولم ينسوا أن يصفوا خروج بنى اسرائيل من مصر بأنه نزوح قبيلة قوية لفتح فلسطين المستضعفة .

وغير خاف أن هذه القبائل كلها إنمـا أغارت على الأمم المتحضرة فى سبيل الرزق والتحضر ورغبة الاستقرار فى بلاد مجهزة بكل أدوات المدنية .

د — ما أشبه اليوم بالبارحة

فلما أن تحضرت أوروبا بعد الحروب الصليبية وبعد سقوط القسطنطينية وانتفاعها بعلوم العرب واليونان ثم تفوقها عليهم بالأسلحة والعدد وبلغت الحضارة الأوروبية قمتها فى القرن التاسع عشر وقام اقتصاديون أمثال آدم سميت ومالتوس فى انجلترا(١) وچان باتست ساى فى فرنسا ، وكان الأفرنج قد جاسوا خلال

(١) هو أول من قال بزيادة السكان على الاغذية التى تعطيها الارض ولذا نصح بتقييد النسل وتحديده

القارات الخمس ووقفوا على بواطن أمورها وأولهم « ماركوبولو » الايطالى وكوك الانجليزى وفاسكودى جاما و بيزارو البورتغاليان وكريستوف كولومب البيزانى فالجنوازى ، وكان أسبقهم ابن بطوطه العربى المسلم ولكنه لم يفد أمته شيئاً ! نقول لما جاس هؤلاء الرحالون المشبعون بروح الاستطلاع والغزو خلال الممالك ، وعادوا إلى أوطانهم بأنباء مدهشة تشبه أنباء سندباد البحرى ، لحقهم من الانجليز ليفنجستون وستانلى وأمين باشا ( وهو ألمانى ) فكشفوا أفريقيا ومنابع النيل . وصادف أن توهمت أوروبا أنها سوف تجوع وتعرى وتحتاج إلى القوت الضرورى على توالى الأعوام ، وأدرك الضيق المادى طبقة العمال ولا سيما فى بلاد الانجليز ، فانتحر أحد عمال المناجم بعد أن قتل أولاده خشية الاملاق ، فكتب كارليل فيلسوفهم فى تلك الحقبة فى كتابه «الماضى والحاضر[1]» يقول فى الفصل الأول « لقد حدث للمرة الأولى حادث فاجع لم يسبق له مثيل فى هذه البلاد ، ألا وهو أن رجلاً انجليزياً مسيحياً قتل نفسه بعد أن قتل أولاده خشية الجوع والبرد ، وأنها لعلامة جد خطيرة وأمر له ما بعده حدث فى يوم عبوس قطرير » .

فحينئذ وحينئذ فقط هبت تلك الأمم للاستيلاء على البلاد الضعيفة أو ذوات الحضارة المنحلة مثل الهند وشمال افريقيا والهند الصينية ووادى النيل الخ.

هـ — الأسباب التى انتحلتها دول أوروبا لتبرير الاستعمار

ولما كانت دول أوروبا قد ضربت فى الحضارة بسهم نافذة و إتخذت لها رداء من المدنية ووجهاً مستعاراً من مكارم الأخلاق ولا سيما بعد ظهور مبادىء الثورة الفرنسية وتوكيد حقوق الانسان وانتشار فكرة الحرية والمساواة بين الأمم ،

---

(١) Past and present تأليف توماس كارليل

وصارت لهم حكومات منظمة ومسؤولة أمام مجالس نيابية ، وصحافة قوية تنشر كل ما يقال و يكتب فى أنحاء العالم ، فقد خجلوا أن يجاهروا بالسبب الحقيقى لغاراتهم الجديدة على أمم العالم وهو الخوف من الجوع وخشية الإملاق المهـــدد لكيانهم فاتخذوا أسباباً باطلة وألبسوها ثياب الحق فقالوا « إنما نفتح البلاد ونغير عليها لا لمنفعتنا ولكن لخيرهم ، فنحن نريد تمدينهم وتحضيرهم ونريد حمايتهم من أنفسهم ومن طغيان حكامهم » وكما انتحل بعض ملوك أوروبا فى القرون الوسطى حجة الحكم والسلطان بالحق الالهى[1] كما فعل شارل الأول فى انجلترا ولويس الرابع عشر فى فرنسا وشارلمان وغيرهم ، فقد اتخذت بعض الدول الأوروبية فكرة « المسؤلية أمام الانسانية » فصارت تقول نحن مسؤولون أمام العالم عن حماية هذه الأمم وتهذيبها وتحضيرها ولا يمكننا أن نتخلى عنها لئلا تهلك أو تتدهور أو تتردى فى الهاوية ، ولكن أعمال هذه الدول فى تلك البلاد المستعمرة كانت تكذب دعواهم فقد حكموها لمصلحتهم الذاتية ومحوا آيات استقلالها وعملوا على تأخيرها لتمام الاستيلاء عليها .

وقد برعت أوروبا فى تنفيذ خططها، وأتقنت سياسة الاستعمار ، ومصرت الأمصار ودونت الدواوين وأنشأت المكاتب والمدارس لتخريج الرجال وتأهيلهم للخدمة فى المستعمرات وعلمتهم لغات البلاد المقصودة بالحكم كالعربية والهندية والاندنوسية حتى لغات الزنوج والشلوك أتقنوها ووضعوا لها القواميس والمعاجم . ووضعوا القوانين والشرائع لحكم تلك البلاد ، وأسسوا وزارات جديدة أطلقوا عليها اسم وزارات المستعمرات ، قد يكون شأنها فى بعض الدول أعظم من شأن وزارة الأمور الخارجية كما هى الحال فى فرنسا الآن .

---

(١) Divine Right

## و — العراك بين الدول العظمى على المستعمرات

ولم تكن تلك الملحمة العظمى بين القوى والضعيف ، لتمر دون تيقظ الحزازات بين الهاجمين والمغيرين ، لأن الأمر لا يخلو من دسامة إحدى اللهى وضآلة الأخرى ، وسمن بعض الفرائس دون البعض ، فكان من هذا القبيل أن حاربت انجلترا جارتها فرنسا فى سهول كنـدا لتزاحمهما على تلك السهول الواسعة ذات الخصوبة العظيمة[١] وحارب السكسون بعضهم بعضاً فى أمريكا نفسها ففار المستعمرون على دولتهم الكبرى بريطانيا فأسسوا جمهورية الولايات المتحدة .

وحاربت انجلترا الدولة الروسية فى القريم ، وأوشكت انجلترا أن تحارب فرنسا على فشودة ( حملة الجنرال مارشان[٢] ) ، ولما دخلت اليابان فى دورة الاستعمار وتشبهت بأوربا ، إلتحمت فى حرب عظمى مع روسيا للنزاع على منشوريا . وأوشكت ألمانيا أن تحارب فرنسا لأجل مراكش ( ١٩١٢ ) بسبب سياحة غليوم الثانى وسفره الى « أغادير » . وختمت تلك المعارك كلها التى ولدت الأحقاد على مدى العشرات من السنين بالحرب العظمى التى ما زال سببها غامضاً لدى العامة ، وحقيقتها أنها حرب سببها الاستعمار الذى تنبهت عناصره بعد غزوة ايطاليا فى طرابلس وطمع ألمانيا فى نصيب من المستعمرات أوفر مما كان لديها فتكشفت الحرب عن سلبها ما كان لديها والحكم عليها بالاعدام السياسى والموت المدنى ولو الى حين .

---

(١) لا تزال آثار النفوذ الفرنسى فى الشعب الكندى فى السياسة والادب وهذا أقوى موانع انضمام كندا الى الولايات المتحدة

(٢) راجع كتاب Jules Cocherie « La situation internationale de l'Egypte et du Sudan Paris 1904 »

# ٧ – الوجه الاخير للإستعمار

وهو وجه « المحاق » وقد عادت فكرة الاستعمار كالعرجون القديم ، وأظهر ما فى هذا الوجه ، هجوم ايطاليا على الحبشة على الرغم من وجود عصبة الأمم . وخطورة الأمر ترجع إلى أن كلاً من الحبشة وايطاليا عضو فى تلك العصبة . وقد بذلت دول أوروبا غاية ما تستطيع فى التوفيق ، والحيلولة بينهما و بين الحرب فأعلنت ايطاليا بعملها افلاس العصبة ، واثبتت أن حب الاستعمار لا يزال ناراً تتأجج فى صدور أهل أوروبا ، حتى بعد الحرب العظمى ومؤتمر نزع السلاح .

ولكن ايطاليا أحسنت الى العالم فى شىء واحد[1] وهو أنها جاهرت بأنها تحارب لأجل التوسع ، وحباً بتوفير الرفاهية لأبنائها ورغبة فى ايجاد ميدان جديد لنشاط الأجيال المقبلة من سلالة الفاشيين، وتنفيساً عن صدر الأمة التى تكاد بلادها تضيق بشعبها ، و بعبارة أخرى تريد ايطاليا أن تقول «طالب العيش ما تعدّى» ولما يمضِ على استيلائها على طرابلس ربع قرن ، وقد يعز على الزعيم أن لا يضيف الى أملاكه أرضاً جديدة يضمها الى اريتريا والصومال ليزهو بحكم أهلها وثروتهم بين الأمم . ولكنه كان صريحاً ، فلم يخف أغراضه ، ولم يخجل من التصريح بها ، بل عيَّر بعض الدول العظمى بما فعلته فى سبيل الاستعمار[2] .

و إذن تكون غزوة ايطاليا للحبشة من نفس النوع الذى وصفناه فى النبذة الثالثة من هذه العجالة ، فها هى أمـــة متحضرة ووارثة لدولة عريقة فى المجد وموجدة نظام جديد فى الحكم الداخلى ، وهو النظام الفاشى قد أدركتها أعراض الوراثة من دماء الذين أغاروا على رومة وحكموها فأغارت على بلاد أجنبية بعيدة

---

(١) إذا كان فى الجرائم الانسانية الدولية إحسان ! !

(٢) سيرى القارئ كم تكبدت إيطاليا فى سبيل استعمار اريتريا من المال والرجال .

عن مقر ملكها بألوف الأميال ، ولم يعقها عن تلك الغارة ، أن تلك البلاد الأجنبية البعيدة عريقة هى الأخرى فى الاستقلال والحرية وفى الشجاعة الحربيـــة وفى الايمان الدينى ، ولم يعقها أن تلك البلاد داخلة فى زمرة الأمم التى أرسلت مبعوثيها الى عاصمة جامعة الشعوب بجنيف (١) .

مما يثبت التناقض الإيطالى وعدم الثبات على المبادئ أن مندوب إيطاليا فى عصبة الأمم فى جلسة ١٥ سبتمبر سـنة ١٩٢٣ وهى الجلسة التى قبلت فيها الحبشة فى العصبة وكان إذ ذاك هو الكونت بونينو لونجارى (سلف بارون الوازى) قال إنه يرحب باسم ايطاليا بقبول الحبشة تلك الدولة العريقة فى الحرية والعقيدة منذ ثلاثة آلاف سنة لدى دخولها فى عصبة الأمم وان ايطاليا تعد طلبها العضوية فى العصبة تحية عظمى تقدمها الحبشة إلى العصبة » وقد دافع عنها خير دفاع وقال إنها مصدر نور وحضارة فى أفريقيا

واذ كانت القبائل المتوحشة تغير على الأمم المتحضرة بأقواس، وسهام ، وسيوف، ورماح ، وخوذات ودروع ، فإن ايطاليـا المتحضرة تغير على الحبشة بالطائرات والغازات وأشعة الموت والأساطيل والدبابات والمدافع الرشاشة وقنابل الديناميت وهذه الأمة الحبشية نفسها لم تكن تملك إلا الأقواس والنبال والرماح .

(١) كما أن لرومة أساطير فى تأسيسها بفعل التوامين رومس وريمس اللذين رضعا لبان الذئبة كذلك للحبشة تأسيس أسطورة عن ملكها بفعل أول ملوكها منليك الاول الذى حمل الى عاصمتها اكسوم الواح موسى .

ز — الأدلة المادية على أن الحرب الناشبة غايتها طلب الرزق !

لقد نوه مندوبو إيطاليا بجنيف فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥ « بأن إيطاليا يجب أن تتحصل على متسع من الأرض لزراعها العاطلين عن العمل وأن تستعمر البلاد وتمد المصانع الإيطالية بالمواد الخام وأن هذا لا يتسنى إلا إذا كان لإيطاليا جيش احتلال دائم فى الحبشة ورقابة على إدارة الحكومة وقال الزعيم موسولينى فى يوم ١٩ سبتمبر لمستر وارد برايس فى رومه :

« ان منطقة الدناكل التى تقترح لجنة الخمسة إعطاءها لايطاليا ليست سوى مهد قديم لبحر جف ماؤه فلا تمو فيها عشبة خضراء ولا يمكن حتى الحبشى نفسه أن يجد فيها وسيلة للارتزاق ، تلك هى صحراء أوجادين أو الصحراء الحجرية . . . وقد عالجنا بعض الصحراء اللوبية وصيرناها صالحة للسكنى ، أما الصحارى الجرداء القاحلة المملوءة صخوراً هائلة صماء فلا يمكننا أن نفعل بها شيئاً » .

ماذا يقول سنيور بنيتو موسولينى لو أن دولة أقوى من دولته أعلنت عليه حرباً جائرة وكادت أن تقهره ، فعرض عليها جزيرة صقلية وجنوب شبه الجزيرة ، لتستعمرهما فرفضت عرضه وطلبت سهول لومبارديا وتوسكانيا لخصوبتهما وذلك بحجة أن عمالها عاطلون وزراعها لا يجدون ما يزرعون ، هل يطيق الحياة حينئذ ، أم يقبل التنازل عن أرض الوطن ؟

## ح — النتيجـــة

و يستنتج من كل ما تقدم ، وهو بعض ما يجب أن يقال، أن غارات الأمم على بعضها بعضاً لا تزال مستمرة ، وأنها تطورت فبعد أن كان المتوحش يهاجم المتحضر، أمسى الذى يعتبر نفسه فى أعلى قمة الحضارة يهاجم الأمة التى يعتبرها هو متوحشة فقد قال مندوب ايطاليا فى إحدى جلسات العصبة « إن الحبشة ليست أمة ، ولا تستحق أن تكون عضواً فى جامعة الأمم[1] » .

ولكن على الرغم من هذا التطور الذى تم فى مدى عشرين قرناً فان سبب الغارات لا يزال واحداً وهو التوسع فى طلب القوت ، والبحث وراء الرغيف اللدن سواء أكان فى أمريكا أو أفريقا أو آسيا .

ولما كانت القبائل البربرية قد انقرضت ، فلا شعوب سلافية تنحدر من الشمال على روسيا، ولا هون ولا فيزيجوت ولا فندال ولا تتر ولا موغول، لأن دول أوربا أبادتها فى منابتها ، فقد حلت تلك الدول المتحضرة نفسها محل تلك القبائل واتخذت خطة الهجوم والاغارة ، وهى لا ترحم حتى نفسها حتى تغير ألمانيا على الالزاس وانجلترا على ايرلاندا وروسيا وألمانيا والنمسا على پولونيا ، وذلك بأسباب شتى كالحدود الطبيعية (نهر الرين) وضرورة الجوار (ايرلاندا) أو الخوف من النزعة الحربية ( ضد پولونيا ) .

الزمن تغير والعالم تطور ، ولكن غريزة الشر ورغبـــة الاعتداء والطمع الأعمى فى ما بين يدى السوى باقية لم تتحول سواء أكان الحاكم ملكا مستبداً أو رئيس جمهورية شعبية أو زعيماً فاشياً ! !

---

(١) راجع ما ينقض ذلك ص ٧٠ من هذا الكتاب

# ٨ – ثلاثة رجال وثلاث دول

## ا — تقــدمة

تدل حياة الرجال على حيوية الأمم .

كلما شعرت الأمة الحية بخطر يتهددها بعثت من أعماقها برجل يدافع عنها ، ومثلها فى ذلك مثل الجسم السليم الذى يقاوم الأمراض الطارئة .

تكتب الأقدار على كل رجل أن يقوم بواجب النجدة والإنقاذ ، ولا تعلم الا الأقدار نفسها مكان هذا الرجل ، فتعده وتحيطه بالعناية وتتعهده بالتربية كالأم الرؤوم ليقوم بما وكلت اليه القيام به .

وهذا ما حدث فى أرض الحبشة ، فقد بعثت العناية وحيوية الأمة بالرأس ثيودورس ليكافح بريطانيا ، و بالرأس يوحنا ليكافح مصر ، ثم بالأمبراطور منليك ليكافح إيطاليا . ففشل الأول ولكنه فاز بجمع كلمة البلاد ، وسقى بدمه شجرة الاتحاد ، وانتصر الثانى على مصر مرتين ، فكسب لشعبه هيبة لا تنسى وخرج الثالث مكللاً بتاج النصر . وما زال حامله إلى أن مات .

كانت انجلترا فى علاقتها بالحبشة كريمة ، فلم تصارحها العــداء إلا بعد أن رأت منها المناوأة والمشاكسة ، ولم تكن انجلترا تفكر مطلقاً فى الاستيلاء على الحبشة ، بل كانت تريد أن تفتح لتجارتهـا أسواقاً ، على شاطىء القلزم وفى شرق أفريقا وكانت تريد أن تكتشف الحبشة لتأمن جانبها فى مستقبل الأيام ، لتشعب مصالحها فى كل بقعة من البر والبحر على مقربة من ايثوبيا . وقد فطن الانجليز الى أن مركز الحبشة فى أفريقا بالنسبة لامبراطوريتهم يشبه مركز الأفغان فى آسيا .

ولعل مركز الحبشة أهم لأفريقا من مركز الافغان للهند فان من يملك الحبشة يملك البحر الأحمر وشرق أفريقيا ومنابع النيل ، و يسيطر على السودان ومصر وعلى وسط أفريقا وجنوبها . فانجلترا تريد أن ترقب كل ما يقع فى الحبشة بعين لا تغمض ، ولكنها لا تريد أن تملكها . ولانجلترا سياسة تقليدية لا تحيد عنها قيد شعرة ، وفوق هذا فان الانجليز يعلمون أن الاحتفاظ بالحبشة « شارية وعميلة » خير من التغلب عليها واستعمارها . وما أصدق فراسة الرأس على عند ما قال لبلودل وهو يوقع معاهدة الصداقة فى سنة ١٨٤٣ وكان يخط اسمه بالخط الامهرى وهو باسم «ان هذه المعاهدة لن تفيد أحداً ، لأنه ليس فى الحبشة ما يغرى أحداً من الانجليز ! » .

ولكن ما لا يغرى الانجليز يقنع صاحبه و يكفيه ، وقد يغرى غير الانجليز فيجردوا الطائرات والمدمرات والبوارج والجنود والبغال والجمال والأنعام ، وقد يخاطر هذا القادم على حرب أفريقية بما يزيد على ما يؤمله من كسب أو يتوهمه من ربح (١) . فاذا كانت الحرب عملية حسابية وجب عليه أن يرجع عنها و يعود أدراجه راضياً من الغنيمة بالإياب ، وصائناً أرواح الأولاد والأقارب والأصحاب ، و إن كانت الحرب للمجد فبئسَ المجد الذى يعرض طالبه للخراب ، ولديه فى ميادين أخرى أكاليل أخرى أحق بالتطاحن وأحرى بالكفاح .

وقد دهش العالم المتمدن من أن يرى زعيماً شهيراً وحاكماً مدبراً كالزعيم الايطالى ، راضياً بل متلهفاً على أن يضع أمة أبيةً عظيمة فى موقف عسكرى ومركز مالى لا يدعوان الى الارتياح ولا تؤمن عاقبتهما فقذف بربع مليون رجل الى شاطىء مقحل وأرض جرداء وصحارى صخرية كالحة يابسة تبعد عن أرض الوطن بألوف الأميال وكل ذلك وسط مخاطر ومهالك قد تستمر بضع سنين (٢) .

---

(١) قدر ما أنفقته ايطاليا لآخر اكتوبر سنة ١٩٣٥ بثلاثين مليون جنيه .

(٢) من خطبة لونيستون شرشل فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٥

ولكن يظن البعض خطأ أن سحب الجنود الايطالية من شرق أفريقيا بدون قتال قد يؤدى الى العصيان والفتنة وقد ينذر بسقوط الذين نادوا بهذه الحرب وأعدوا لها ما استطاعوا ثم ترددوا أو خشوا العواقب فعادوا من حيث أتوا .

وقد فات هؤلاء المتطيرين والمنذرين أن الرجوع الى الحق فضيلة وأن التقهقر المنتظم خير من الانتصار الطاحن وقديماً قالوا بأن الصلح المجحف بحقوق الرجل خير من ربح الدعوى ، لأن الربح معناه استمرار النزاع واستقواء أحد الخصمين على الآخر ، بعكس الصلح الجائر فانه نهاية يحسن السكوت عليها و يطيب الوقوف لديها ، ويُلقى عندها السلاح من الناحيتين . ولعمرى أن عودة الجند بغير قتلى ولا جرحى خير من عودتهم على حال لا يعلمها الا الله ، لأنه هو وحده الذى يعلم عواقب الأمور . ولا يمكن أن يخطىء العالم كله و يصيب موسولينى !

نعم أن مجد الوطن شىء عظيم وفرح الأيم والأرمل واليتيم بانتصار الأمة على خصمها يفوق حزنهم على من فقدوا من أبناء وأزواج وآباء . ولكن هذا يصح فى حال واحدة وهى حال دفاع الأمة عن كيانها ورد الهجوم عن حياضها . وعند ما يكون الوطن فى خطر ، وحينئذ يكون الدفاع مشروعاً لأنه دفاع عن النفس والعرض والوطن ولكن هذه المشكلة التى يعالجها العالم منذ بضعة شهور لم تظهر فيها الحبشة بمظهر الأمة المعتدية ، ولا المتهجمة ولا الطامعة ولا الطامحة ، بل ظهرت بمظهر الآمنة المطمئنة المستكينة المستغيثة ، ولذا كسبت عطفَ العالم وألانت قلوب الدول ، وأشهدت الدنيا على قضيتها فصارت دول الاستعمار نفسها تنكر التعدى وتحتج عليه ، وتأبى على الزعيم الايطالى أن يغمض عينه عن عراقة الحرية فى تلك البلاد النائيـة التى عاشت ألوف السنين رافعة علم الاستقلال الوطنى والكرامة القومية فى قلب القارة السوداء .

### ب — من ثيودورس إلى هيلاسلاسى

كان ثيودورس الثانى يدعى قاسه ، وهى كلمة حبشية معناها ( عوض ) كما كان هيلاسلاسى يدعى ( تفرى ) . وكان ثيودورس رجلاً عظيماً ، وينتظر من الحياة أن يكون له دور جليل يمثله على مسرح بلاده ، فلما لم يجد ما يعينه على ذلك فى حقائق التاريخ الحبشى ، التمسه فى سجل الأساطير ، وكان مثله الأعلى أن يسود وطنه لا ليجنى ثمار الفخار الشخصى ، ولا ليدخر الأموال ويختزنها بل ليخدم الوطن ويُعلى شأنه ، وهو يعتزم أن يجود بنفسه فى سبيل الوطن ، فهو يطلب العلى لنفسه ليبذله فى خدمة وطنه ، وهذا أقصى ما تبلغه الكرامة فى شخص الملوك ، يصلون إلى أقصى درجات السمو القومى ليكونوا أشرف خدام الوطن ، لا على أنهم أجراء ، بل على أنهم مواطنون عظماء .

فلما آن الأوان وكشرت أوروبا عن أنيابها لثيودورس ، لم يتقهقر ولم يرضَ بإذلال نفسه بل خاض غمار المعارك ، ولما أن أيقن أنه مقهور لا محالة نال من نفسه بيده ، قبل أن يقع أسيراً فى أيدى خصومه « بيدى لا بيد عمرو » . وكان خصومه يقدرون شجاعته وإقدامه ويكنون له الاحترام ، ولا يرضون اذلاله ، ولكن سبق السيف العذل وراح حلم ثيودورس أدراج الرياح ، ولم يتمكن بحكم القضاء والقدر من خدمة وطنه ، ولكنه أوجد المثل الأعلى لمن يأتى بعده ، وترك صورة جميلة من حياة الملوك وما يجب عليهم نحو أوطانهم . لقد كان « رائداً » لمستقبل بلاده وقائداً لطلائع الأجيال المقبلة ، وراسماً لخطة لا بد من تنفيذها لفخر الوطن .

كان يرمى إلى توحيد كلمة الوطن ، ولم شمل الامارات الصغيرة والقبائل المختلفة والمعتقدات المتباينة واللغات المتعددة تحت راية واحدة ، وكان يقصد إلى

مقاومة العدو الأجنبى الذى يهجم على أرض الوطن مهما كانت قوة جيوشه وعدد عساكره ، وكان يرمى إلى ترقية روح الشعب وتهذيبه وتثقيفه ليتمكن من مسايرة الأمم المتحضرة فى أفريقا وغيرها . وكانت مصر فى نظره هى النموذج الذى يحتذى والمثال الواجب أن يتبع . فلما أن حاربت الأقدار صاحب هذا المنهاج الجليل السامى ، مؤذنة بأن حياة الأفراد مهما عظموا ، قد تذهب أحياناً فى سبيل حياة الأمم ، ولم يتمكن ثيودورس من تنفيذه ، بقى المنهاج لمن يجىء بعده ويحمل بيده تلك الشعلة التى أرغمت الأقدار ثيودورس على التخلى عنها وهو يجود بأنفاسه ، فحملها يوحنا ، ثم أسلمها إلى منليك الثانى وقد كان هو المليك الذى كتبت على يديه نجاة الوطن بأسره من أسره !

كان يوحنا وهو قاهر الجيش المصرى ماكراً ، لأنه كان رئيس عصابة قبل أن يكون راهباً أو أميراً وقائداً ، ولهذا لم يتمكن من التفاهم مع مصر لتدوم له نعمة حسن الجوار[1] ، لأن حكومة مصر لم تكن تنوى اذلال الحبشة فى سنة ١٨٧٥ ولكنها كانت ترمى إلى إعلاء شأن راية مصر فى وادى النيل وصيانة منابع النهر العظيم والظهور أمام العالم المتمدين بمظهر العظمة القومية ، فى وقت هجمت فيه أوروبا على أفريقيا لتقتسمها كما يقتسم الجياع مأدبة يكون الداعى اليها مجهولاً ، فاقتطعت كل دولة ما شاءت وجارت تلك الدول على نصيب مصر وأملاكها فى قلب أفريقيا وشرقيها . ولم تكن الدولة المصرية ترمى إلى احتلال الحبشة أو اذلالها ، ولعل يداً أجنبية هى التى دفعت بمصر فى هذا المأزق ، وهى التى تربطها بالحبشة روابط شتى ، منها وحدة العقيدة سواء فى ذلك المسلمين المقيمين

(١) جاء فى رسائل السودان التى نشرت فى مصر فى سنة ١٨٩٢ أن قائداً انجليزياً شهيراً هو الذى أوقع بين يوحنا واسماعيل بفتنة

فى هرر أو النصارى المقيمين فى بقية الحبشة ، وأصل دياناتهم عن مبشر اسكندرى فى مستهل القرن الرابع . ومنها الجوار ، ومنها وحدة الأصل السامى واتحاد أصل اللغات التى تتكلمها الامتان ، ومنها العنصر التاريخى ، وتمجيد سليمان و بلقيس فى القرآن وهما المقول إنهما مؤسسا الأسرة المالكة فى بلاد أسد يهوذا وقصتهما من أجل القصص فى القرآن الكريم وأروعها ، يسمعها المسلمون وغير المسلمين صباح مساء فذكراهما لدينا فى كل وقت حاضرة[١] . ومنها خروج النيل الأزرق وروافده من بحيرات الحبشة .

و إذن كان هذا التخاصم القصير المدى غلطة سياسية تكفل الدهر ، وحسن تدبير الشعبين بتصحيحها . وقد كتبت الأيام على يوحنا أن يكون ممثلاً لهذا الدور فى التاريخ الحبشى الحديث ، فنحن لا نلومه ، لأنه كان يدفع عن وطنه هجوماً أجنبياً ، ولكننا نعيب عليه أنه لم ينجح فى الوصول إلى صلح شريف يمحو الخطأ السياسى و يربط أواصر الصداقة بينه وبين الدولة المصرية من جديد مع سبق اعترافه بها .

أما منليك الثانى امبراطور الحبشة الذى انتصر فى موقعة عدوه الشهيرة فقد كتب له أن يكون الملك الكامل الذى تم على يده منهاج ثيودورس .

وقد ولد الأمبراطور منليك فى سنة ١٨٤٤ ، وتولى ملك شوا فى سنة ١٨٦٦ وتوج امبراطوراً على الأحباش فى سنة ١٨٨٩ ، وانتصر فى موقعة عدوه سنة ١٨٩٦ ، وتوفى فى سنة ١٩١٣ ولم يرزق ذكوراً ، وتزوج من الأمبراطورة تانوفى فرزق منها بنتين زوديتو ( يهوديت ) التى توجت امبراطورة سنة ١٩١٦ وماتت سنة ١٩٣٠ ولم تترك عقباً . وكان رحمه الله يعرف لآخر أيامه فى أورو با بأنه « بعبع » ايطاليا .

(١) فى اسطورة حبشية أن منليك الأول هو أول سلالة سليمان و بلقيس وأنه جاء إلى الحبشة يحمل الواح موسى وهو طفل صغير ونزل اكسوم عاصمة الحبشة المقدسة .

## ج — عبقرية منليك وقوة إرادته

كان منليك الثانى طويل القامة مهيب الطلعة ، جميل المنظر ربعة بين الرجال ، متواضعاً وقوراً وعاش أربعة وسبعين عاماً وكان فى جميع أطوار حياته ما عدا شيخوخته ومرضه الأخير نشطاً ميالاً إلى العلم بكل شيء ، وبسبب هذا الميل ألم بأمور شتى وتعلم صناعات جمة كالميكانيكا ، وفحص الأسلحة حتى أصبحت فنون الميكانيكا والكشف عن عدد الحرب لديه من أسهل الأمور .

وكانت نفسه مفطورة على العدل فكان يعامل جميع رعاياه بالمساواة ويحكم بينهم بالعدل ويحب لهم الخير ، فأجمع المسلمون والنصارى من رعاياه على حبه وعرفانهم بجميله .

وكان له شغف شديد بفنون البناء ، حتى عده بعضهم أعظم مهندس معمارى فى الحبشة وقد رسم بيده أغلب رسوم المبانى وكان يصف للقائمين بها كيفية السير بموجب هذه الرسوم ، أى أنه ينفذ التصميمات التى يضعها ، حتى استوجب نبوغه فى ذلك عجب الأوربيين ودهشتهم .

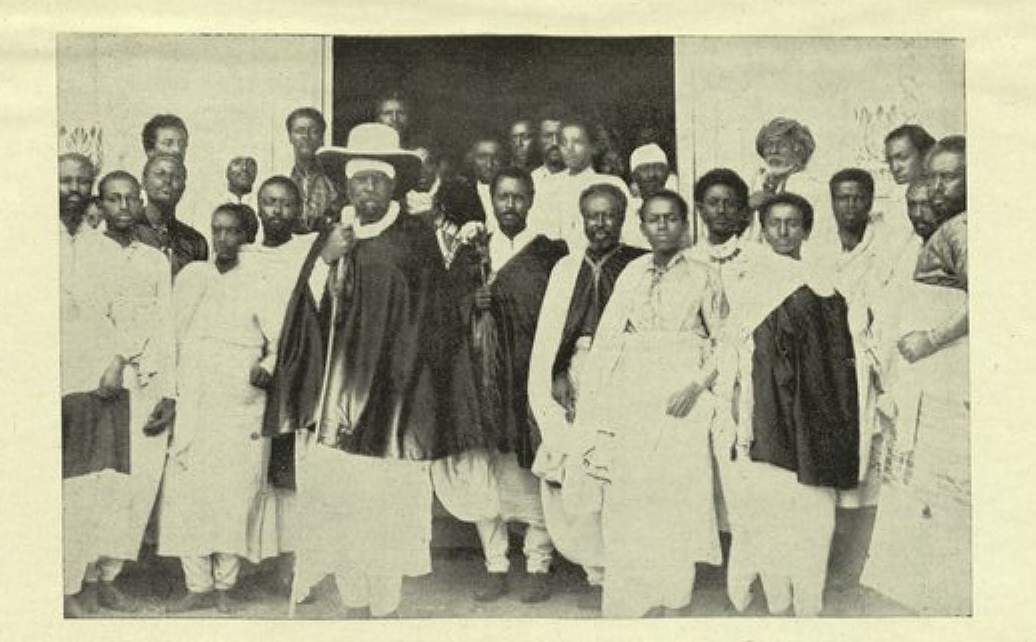
وقد تعلم من بعض الأطباء والصيادلة تركيب بعض الأدوية . وكان يوجد فى قصره رجال من المهندسين والصناع والعمال يقومون بالأعمال الصناعية والهندسية التى يتطلبها منهم وهو يحادث كلاً من هؤلاء بما يخص صناعته وفنه ، ويشاهد بنفسه ما يقومون به من الأعمال ، ويسأل عن كل مجمل ومفصل من المسائل التى لا يدركها ويطلب إليهم أن يصنعوا أمامه ما خفى عليه ، حتى يتقن علمه بالاختبار ، وقد استحسن أحذية الافرنج الذين كانوا يفدون عليه عند ما كان ملكاً على مقاطعة شوا فطلب مرة إلى أحد المهندسين أن يصنع له حذاء أمامه ليرى كيفية صنع الأحذية فاعتذر له المهندس بأنه لم يشتغل أبداً بصنع

الأحذية ، فلم يرق هذا الكلام فى نظر منليك وأصر على طلبه فلم يرَ المهندس بداً من تنفيذ أمر الملك فقام بتجهيز ما يلزم لصنع الأحذية وأوصى بصنع قالب خشب ، وحل قطع حذاء قديم عن بعضها ليرى كيفية صنعها ثم أحضر الجلود اللازمة وأخذ يشتغل بصنع الحذاء أمام منليك حتى صنع له حذاء منها وكذلك نفذت رغبة الامبراطور التى وقف بواسطتها على كيفية صنع الأحذية .

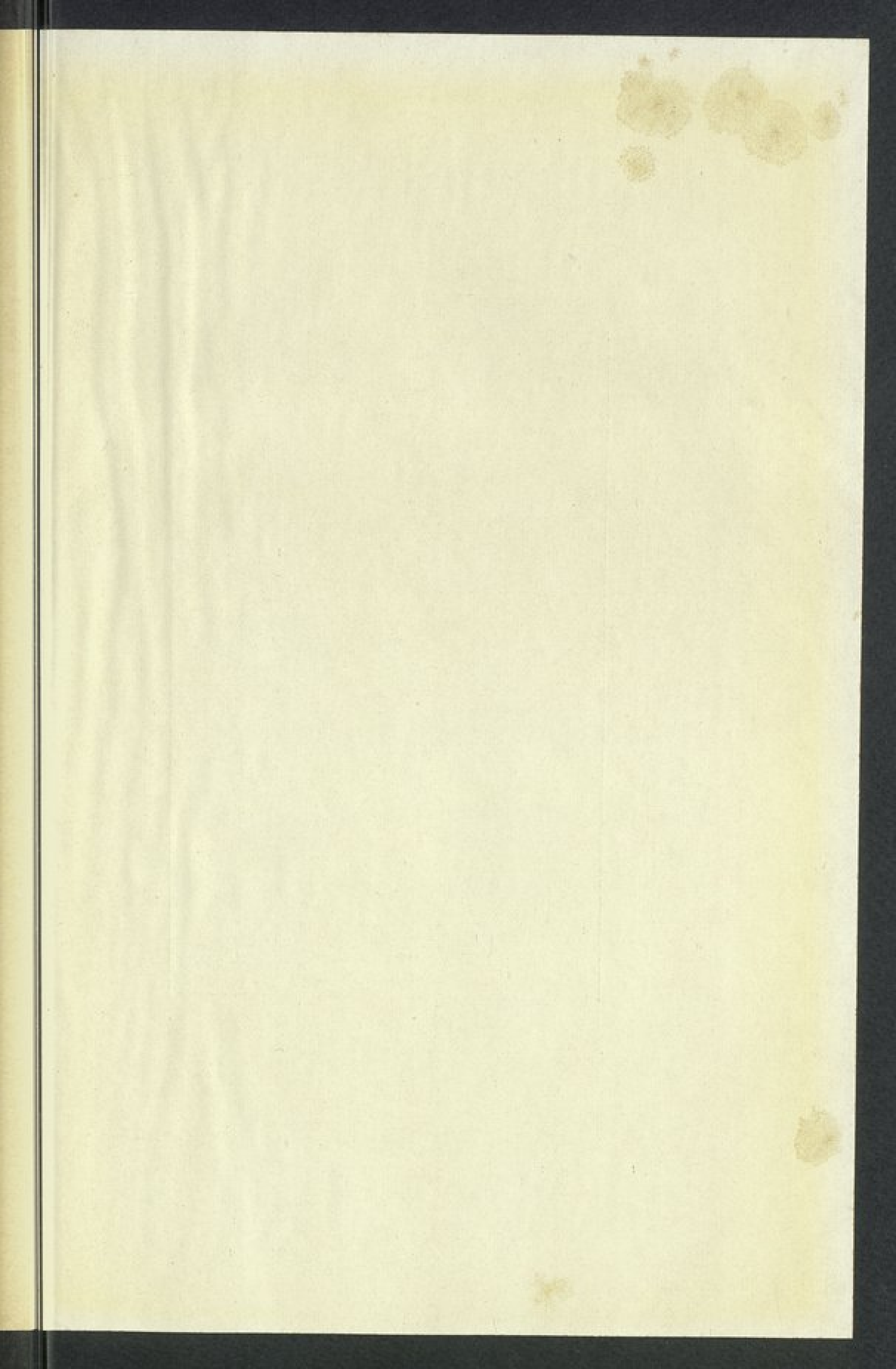
وأمر مرة المهندس أن يصنع له بندقية تطلق بالخرطوش على الطراز الجديد وهو يعلم أن صنع هذه الأشياء فى أوروبا يكون أقل عناء ونفقة ولكنه يطلب صنعها أمامه وفى بلاده ليقتنع بإمكان صنعها فى وطنه ويتأكد من معادنها وأخشابها وصلاحيتها للصناعات التى ترد من أوروبا .

أما مهارته السياسية والحربية فلم يكن فيها شك وقد اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء أما طريقة استيلائه على عرش شوا فهى أنه لما قرب الانجليز سنة ١٨٦٧ من مجدلا تمكن منليك من الفرار منها وقطع الوديان والجبال الصعبة المرور وحيداً ليس معه أحد ولحق ببضعة آلاف رجل من رجال أبيه وأخصائه وقومه وقبيلته وكانوا فى انتظاره فاستقبلوه ورحبوا به وسروا به فسار من هناك ومعه رجاله وجميعهم مسلمون وهاجم أنو بذابا حاكم مقاطعة شوا المولى من قبل تيودورس فهزمه واستولى على بلاده ( شوا ) وصعد على عرش أجداده وأبيه .

ومن هذا التاريخ انقطعت جرثومة الحروب الداخلية فى تلك المقاطعة وأصبحت من ذلك اليوم أضخم جزء من أجزاء المملكة الحبشية . ولما صعد يوحنا إلى العرش الحبشى بدأت الخصومة بينه و بين منليك ولكن منليك حقن دماء الأمة وخضع ليوحنا مع أن انتصاره عليه لم يكن صعباً ، وما زال يحافظ على كيانه ويرد خصومه وقد انتقم له بعد قتله . وقد اجتمعت كلمة الحبشة على ترشيحه للعرش وتتويجه ، فتم له ما أراد برغبة الأمة .



صاحب الجلالة الايثوبية المغفور له منليك الثانى امبراطور الحبشة وقاهر الطليان فى عدوة



د — خلفــاؤه

وترك الأمبراطور الأميرة شوارجه التى تزوجت من الرأس ميخائيل الذى كان أصله مسلماً وانتحل المسيحية تقرباً من منليك الثانى ، فرزق من شوارجه بليج ياسو الذى عينه منليك ولياً لعهده وتوج امبراطوراً سنة ١٩١٣ وخلع فى سنة ١٩١٦ ، و يقال إنه مات فى الأيام الأخيرة(١) . فكأنه حيل بين ملكين شرعيين ، وهما ليجياسو وزوديتو ليصل الامبراطور هيلاسيلاسى إلى العرش وهو ابن الرأس ما كونين الذى يعادل منليك الثانى فى شجرة النسب . فان ساهالاسيلاسى رزق هيلا ملا كوت وواز يرو نتانا فولد لهيلا ملا كوت منليك الثانى وولد لنتانا رأس ما كونين الذى ولد له هيلاسيلاسى ، فمنليك الثانى ورأس ما كونين أولاد عم وزوديتو تعادل هيلاسيلاسى فى درجة القرابة وليجياسو بمثابة ابن الأخت لهيلاسيلاسى .

وليس هنا مجال البحث فيما إذا كان هيلاسلاسى مغتصباً للعرش من ليجياسو أولاً ومن زوديتو ثانياً .

فإن ليجياسو عزل سنة ١٩١٦ بإرادة الحلفاء ، لأن سياسته كانت تجعله إلى الألمان والأتراك ، أقرب فسعى الفرنسيون فى إبعاده بحجة أنه يبطن الإسلام و يظهر النصرانية بسبب أن أباه كان مسلماً وانتحل النصرانية طمعاً فى نسب الامبراطور . وزعموا فى ذلك الوقت أنه سافر إلى حدود الحبشة وقابل وفداً من تركيا بايعهم على الاخلاص لهم ، وأنه كان يلبس عمامة مكتوب فى ثناياها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنه صلى صلاة المسلمين ونشر راية عليها نص الشهادة الاسلامية . فتقدم الحلفاء بالرأس تفرى ليحل محله وقامت بينهما

(١) ثبت أنه لم يمت بل نقل من سجنه إلى حصن بعيـــد عن مواطن الطليان لئلا يقع فى يدهم فيكون أداة قوية ضد الأمبراطور هيلاسلاسى

حروب دامية ، وانضم الرأس ميخائيل الذى كان لا يزال على قيد الحياة لولده ، ولكن تفرى انتصر فى النهاية وسجن ليجياسو وقيده بسلاسل من ذهب ، ولم يحكم عليه بالإعدام لأن تقاليد الأسرة المالكة فى الحبشة لا تبيح قتل الأمراء صبراً إلا عند الضرورة القصوى[١] .

و إذن تكون الأقدار قد اختارت الأمير تفرى ابن الرأس ما كونين ليتلقى الهجوم الأوربى الأخير على بلاد الحبشة ، فرفع بذلك عبء تلك المسؤولية الخطيرة عن كاهلى امرأة ورجل هما زوديتو وليجياسو . وفى الحق إن بلاداً كالحبشة لا يحدث فيها أن يصل ولى العهد المعين من سلفه إلى العرش إلا نادراً بل يصل إلى العرش من يستطيع الوصول إليه بالقوة أو الحيـلة ، لأن الأمم المتحضرة هى وحدها التى تستطيع أن تحترم تسلسل الأبناء والأحفاد على العروش وتحافظ على النظم الموضوعة لتتويج الملوك أو الملكات ، وتوليهم شؤون بلادهم فبينا ترى دولة كانجلترا تحكمها فتاة هى الملكة فكتوريا ، ولما تبلغ نهاية العقد الثانى ، ويمتد عهد ملكها إلى أن تبلغ الشيخوخة الفانية ، وقد بلغت دولة بريطانيا فى عهدها من العظمة والاتساع والنفوذ والسلطان ما لم تبلغه دولة أخرى ، بل ما لم تبلغه انجلترا نفسها إلا فى عهد الملكة اليزابت ، ولم يخطر ببال أحد أن يعرض على الملكة الشيخة أن تتنحى عن العرش ، وقد بلغ ولى عهدها ( الذى صار فيما بعد الملك ادوارد السابع ) من الكبر عتياً ، وشاب فوداه ولحيته وهو لا يزال ولياً للعهد ! كل ذلك ليس إكراماً لشخص الملكة ، أو عطفاً على شيخوختها ، أو تقديراً لجهادها ، أو تفاؤلاً بحسن طالعها لأن انجلترا نالت فى عهدها ما لم تنله فى عهد سواها ، ولكن لأن الأمة وضعت نظاماً خاصاً بالملك وأرادت أن تحترمه ، وهذا ما لا يحدث فى معظم ممالك الشرق .

---

(١) تسربت هـذه المعلومات الينا فى كتب نشرها الفرنسيون والالمان ومقالات فى جريدة الطان الشهيرة فى سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦

وفى نفس هـذا الوقت كان سلاطين آل عثمان وأولياء عهدهم ووزراؤهم ورجال حاشيتهم يدبرون لبعضهم بعضاً صنوف المكايد والمقالب فيخلعون من يخلعون بفتوى شرعية، يبادر بتقديمها جماعة السوفته ( علماء الدين ) بحجة أن السلطان خالف الشرع الشريف أو فقد عقله فاستحق العزل و إذا رؤى الاستغناء عن الفتوى فإن كأس السم أو حد الخنجر حاضران للخلاص من أيهم ولا يزل مصرع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد وغيرهما سراً غامضاً

ولم يكن الأمر مقصوراً على سلاطين آل عثمان بل كان شاملاً لعروش الشرق جميعاً فكانت حظوظ هذه العروش وأصحابها فى أيدى المصادفات والمطامع وأن هذا لداء دفين فى الشرق وفى كل مملكة تشبه الشرق وقد سرى الداء إلى بعض ممالك البلقان فكان مصرع الملك اسكندر والملكة دراجا فى عاصمة الصرب من أروع المصارع وأفظعها

وهذا لا يدل على أن أوربا لم تقع فى مثل هـذه المحن فان تاريخ ايطاليا لعهد الأمارات الاستبدادية حافل بها(١) كذلك حديث الرجل ذى القناع الحديدى لعهد لويس الرابع عشر، وتاريخ انجلترا نفسه يدل على أنه فى سنة ١٢١٥ بعد أن سافر ريكاردوس قلب الأسد إلى الشرق فى حملة الحروب الصليبية وترك ولى عهده طفلاً بوصاية أخيه حنا ، طمع حنا فى الملك فاغتصبه وسجن ابن أخيه فى برج لندن وسمل عينيه بالحديد المحمى ثم قتله فى سبيل العرش المغتصب(٢)

وأمرت اليزابث بقتل الملكة مارى الأيقوسية

ولكن كل هـذا يدل على أن بعض أمم الشرق وأمراءهم لا يزالون فى هذا القرن والذى قبله فى درجة من المدنية تعادل تلك التى وصفناها فالشرق فى القرنين التاسع عشر والعشرين يعادل أوربا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر

(١) راجع « تاريخ الجمهوريات الايطالية » تأليف سيسموندى
(٢) شغف شكسبير بهذا الموضوع فصاغه رواية مسرحية

## ٩ — من موقعة قرع إلى موقعة عدوة

### من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٦

فى سنة ١٨٦٩ اشترت ايطاليا ثغراً صغيراً اسمه عصاب فى شمال بوغاز باب المندب باسم شركة بحرية هى « فلوريو روباتينو » وفى سنة ١٨٨٢ حلت الحكومة الايطالية نفسها محل تلك الشركة فنزلت بثغر عصاب مستعمرة ايطالية وأقامت، ثم أرسلت نائباً عنها يدعى الكونت انتونلى إلى الأمبراطور منليك الثانى على رأس بعثة ليعين تلك المستعمرة الايطالية فأكرم الأمبراطور وفادتها وعقد معها معاهدة صداقة كانت الضربة الأولى على الحبشة لأنها اعترفت بحقوق لايطاليا فى بلادها وفى سنة ٨٥ احتلت ايطاليا بعض الثغور والجزائر أهمها مصوع التى كانت لمصر بحق تنازل الدولة العثمانية عنها للخديوى اسماعيل مقابل زيادة الجزية ، وكان ذلك بموافقة انجلترا ، ثم اتجهت نية ايطاليا إلى تأسيس مستعمرة قوية فى البحر الأحمر، وكان هذا بداية تكوين الأريتريا التى أمست خنجراً فى ظهر الحبشة من ذلك التاريخ إلى الآن

فان نفوذ ايطاليا لم يلبث ان انتشر وزاد فغضب له الملك منليك الثانى الذى كان لا يزال ملك شوا وزاد غيظه ان احتل الأميرال الايطالى شيمى ميناء مصوع ونفى منها المحافظ المصرى إلى السويس وأمر الحامية المصرية باخلاء المدينة وكانت هذه السياسة الاستعمارية تنفيذاً لخطة فرنسيسكو كريسبى أحد أتباع الثلاثة الذين بنوا ايطاليا الحديثة وهم متزينى وجاريبالدى وكافور ولكن بقدر ما كان هؤلاء السادة عظماء كان هذا الوزير سخيفاً فانه أراد أن يقلد انجلترا فى سياستها الخارجية ويترسم خطوات بيكنسفيلد وغلادستون على ما كان بينهما من

الخلاف والتناقض ومن هنا كان الفشل الذى أصاب كريسبى فى سياسته والذى انتهى بهزيمة عدوه وسقوط وزارة هذا الرجل على أنه كان يبدو على خطة كريسبى أثر من النجاح فى بدايتها لو أن الملك يوحنا قاهر المصريين كان منفرداً بالسلطة فى الحبشة لأنه تساهل معهم وغض الطرف عن زحفهم ولكن منليك كان شريكه وأعلى منه مكانة فى السياسة وكعباً فى الحرب فانبرى للطليان وكلف أحد قواده بطردهم من البلاد وسَيَّر جيشاً إلى هرر فامتلكها[1]

وفى يناير سنة ١٨٨٧ التقى الجيش الحبشى بالجيش الايطالى فى دوجالى وكان الفرق بين الجيشين عظيماً فى العدد والعدد فهزم الطليان وقتل معظمهم وأسر بعضهم، وعادة الأحباش فى كل حروبهم أن يلقوا خصومهم بجيش يفوقهم عشرات المرات حتى يدخلوا الارتباك والاضطراب فى صفوفهم .

ووصلت أنباء هزيمة الطليان الى روما فسببت غضباً وطنياً كما حدث فى مصر سنة ١٨٧٤ وكذلك أعدت إيطاليا جيشاً قوامه اثنا عشر ألف عسكرى كما أعدت مصر فى سنة ١٨٧٥ جيشاً قوامه ١٥٠٠٠ عسكرى وأبحر جيش إيطاليا من نابولى يقصد الى ايرتريا وتوسط الانجليز فى الصلح فلم يفلحوا وفى مارس سنة ١٨٨٨ مرض قائد هـذا الجيش فجأة فوقف عن القتال واستعمل الطليان حيلة للايقاع بين الأحباش والسودان والانجليز فلم يوفقوا وعرضوا على منليك أن ينضم اليهم فى القضاء على الملك يوحنا صديقهم القديم فرفض عرضهم وقبل هداياهم من السلاح والمال

ومما يذكر لملوك الحبشة بالثناء العطر، ويكتب بمداد الفخر، أنهم مهما دب بينهم ديب الشقاق فى شؤونهم الداخلية وتنافسوا على العرش فلا يتفقون مع

---

(١) بدا الضعف على يوحنا من ذلك الحين ، وما زال يتدهور الى أن قتله الدراويش وانتصروا عليه فى القلابات

الأجنبي على محاربة بعضهم بعضاً ، فان منليك على بغضه يوحنا واتهامه إياه بمآزرة الطليان والتساهل لهم حتى أنشبوا أظفارهم فى جلد الحبشة ولحمها ، أبى أن يناصر الطليان على يوحنا لأنه يعلم أن الطليان يستعينون به على هلاك احدى القوتين ثم ينفردون له فيوقعون به بدوره وتكون لهم عليه يد هو فى أشد الغنى عنها لأن يوحنا مهما تقوى فلن ينال من منليك ما يناله الطليان منه بعد ذهاب يوحنا وأن فى بقاء يوحنا الى جانب منليك استبقاء لقوتين تحاربان إيطاليا وهما على كل حال خير من قوة واحدة[1]

ولم يكن يوحنا قاهر المصريين بالملك الذى يستهان به فانه حارب التعايشى فى القلابات وهزم الدراويش فى المتمة ولكن شهر مارس الذى حمل له النصر فى سنة ٧٦ على المصريين جاءه بالبلاء فى سنة ٨٨ فخر قتيلاً فى ٩ مارس فى نفس ساعة انتصار الخليفة على جيش الأحباش . ولما كان الأحباش من أهل الفطرة الذين يفقدون رشدهم إذا فقدوا قائدهم فقد ركبوا رؤوسهم وفروا وتركوا جثة مليكهم وقائدهم بين يدى الدراويش فأمر التعايشى بدفنه بعد أن سلب كتبه وسلاحه وبعث بها الى عاصمة ملكه وانتهز منليك هذه الفرصة وقد حلت له الأقدار عقدة كان عن حلها عاجزاً فنادى بنفسه ملكاً على ملوك الحبشة

وكان الطليان متربصين وقد ظنوا أن الدهر قد حالفهم فاحتلوا مدينة دوجالى التى هزموا لديها وانتهزوا فرصة انشغال منليك بنشوة النصر المعنوى والصعود الى العرش فعقدوا معه معاهدة فى مايو سنة ١٨٨٨ فى أوشيال

وكان رجل إيطاليا لدى التعاقد هو أنطونيلى نفسه الذى اتصل بمنليك منذ أربع سنوات وظن أنه تخصص فى السياسة الحبشية

---

(١) أن ما يقال عن بقاء تقاليد سياسية فى ايطاليا تدنيها من مبادئ مكيافيلى صحيح لأن مبادئ مكيافيلى ثمرة أخلاق أمته من قديم الزمن ( أنظر كتاب الامير تأليفه )

ولكن هــذا السفير الايطالى أخطأ المرمى وخان الأمانة لأنه كتب بلغته ما لا ينطبق على ما كتب باللغة الحبشية وفسرت ايطاليا معاهدة أوشيالى بأنها تبيح لها وضع الحبشة تحت الحماية الايطالية ، لترهقها بالأمر الواقع

وكان منليك فى ذلك الوقت مشغولاً بأمرين الأول الانتقام للملك يوحنا من خليفة المهدى والثانى حفلة تتويجه فأتم التتويج فى سنة ٨٩ وعدل عن حرب الدراويش مؤقتاً وانتهزت إيطاليا هذه الفرصة فزادت نفوذها فى الحبشة ببذل المال والهدايا للقواد و بلغت قوتها أقصى مداها فى سنة ٩٥ وأصبح مركزها ثابتاً لايزعزع فى أرتريا وكانت إيطاليا أرسلت فى سنة ٩٢ الى الحبشة بقائدين من أشهر قوادها ولكن وجودهما فى أريتريا لم يوهن من عزيمة النجاشى، ولم يعقه عن اعلان تخلصه من معاهدة أوشالى ورد قرض إيطالى بلغت قيمته أربعة ملايين ريال

وفى سنة ١٨٩٤ حارب الطليان الدراويش وأجلوهم عن مدينة كسلا التى تسيطر على الحبشة حربياً كما ذكرنا والتى تمكن من تكون بيده من السيادة المطلقة على ميدان عدوه إحدى عواصم الحبشة وكانت هذه الخطوة هى الأخيرة فى تنفيذ خطة الطليان الحربية للاستيلاء على البلاد بعــــد أن ملأوها بالرواد والجواسيس فجاسوا خلال المملكة وعرفوا مسالكها ومهالكها ولكن هذا الاستعداد العظيم وتلك الدراية التامة بمفاوز الأحباش لم تغنهم فتيلاً حيال ثلاثة أشياء تذرع بها الأحباش ودرعتهم بهـا الطبيعة وهى : الأول مفاوز الحبشة وجبالها التى حفت بالمكاره والمهاوى والمهالك كانهمار السيول وقلة الماء وانتشار الأمراض [١]

الثانى خطة الأحباش فى الحروب وهى ارباك العدو بجيوش جرارة تفوق جيوشه أضعافاً مضاعفة ، وطبيعة الحبشى المحارب الذى اشتهر بالخفة والدهاء

---

(١) فى برقية مضحكة من روما بتاريخ أول نوفبر سنة ١٩٣٥ أن قائداً إيطاليا خطب فى كهان أحباش فقال : « إن رجل إيطاليا العظيم يمكنه أن يزيل جبالكم ويقتل كل حى فى بلادكم ! ! !

والاستدراج للعدو والاحاطة به من كل جانب وارهابه بالسيوف والرماح التى تقطر دماً ثم القسوة فى معاملة العدو وكل من ظفر به والاجهاز على الأسرى .

الثالث خضوع الجيوش الحبشية لقائد عظيم هو فى الوقت نفسه زعيم وطنى لا يعمل لمجده الشخصى ولكن لينقذ الوطن ، وكان هذا القائد الزعيم والملك المغوار منليك الثانى فهزم الطليان فى موقعة امبا الاجى فانتحر قائدهم توسيلى وكان يعين النجاشى فى هذه الحرب الطاحنة وزيره ويده اليمنى القائد الرأس ماكونن ( والد هيلاسيلاسى ) فتمكن من حصار مكالى ولم ينسحب عنها إلا بعد أن أخذ من الطليان غرامة حرب قدرها مليون ريال .

وحاول براتيرى أن يعقد الصلح فرفضه منليك وصحت عزيمته على منازلة الطليان فى موقعة حاسمة فاستعد بالسلاح الذى أمدته به بعض الدول الأوربية وحشد جيشاً قوامه ربع مليون جندى ، ولما أصبح على غاية الاستعداد وأخذ للموقعة الفاصلة أهبته عرض على براتيرى أن يدفع للحبشة ٢٥ مليون ريال وأن ينسحب إلى حدود ارتريا فرأى القائد الايطالى أن الشرطين بمثابة التعجيز له ولدولته فرفضهما . ولكن إيطاليا عادت فندمت بعد الهزيمة .

وفى فبراير سنة ١٨٩٦ برز براتيرى بجيش عدده ٢٠ ألفاً وسار قدماً إلى عدوه فلقيه منليك نفسه على رأس جيش يفوق على جيشه أربع مرات وكان القائد العام ادموندى يعاونه البيرتونى وديروميده والينه[١] .

وفى أول مارس سنة ١٨٩٦ تقدم القواد الأربعة بجنودهم إلى تلك الجبال العالية والصخور الشامخة التى يحفظ الحبشان كل خطوة منها عن ظهر قلب فأحاطوا بالجيوش الايطالية وأعملوا فيها بكل سلاح حتى أجهزوا عليها فى ساعات

(١) أهم المصادر عن موقعة عدوه دائرة المعارف الانجليزية وجريدة التيمس ورحلة المؤيد الى الحبشة .

معدودة فخسر الطليان أكثر من نصف جيشهم بين قتيل وجريح وأسر الأحباش النصف الآخر عدا ما وقع لهم من العتاد والسلاح والذخيرة ومنها سبعون مدفعاً ، ووضع الأحباش يدهم على المعسكر كله ، وقتلوا قائدين وأسروا الثالث وأسرع الجنرال بارتيرى الى أحد الثغور فطير نبأ الهزيمة إلى روما ناسباً الخسارة إلى جنوده وأسرع بالفرار إلى وطنه فقابلوه شر مقابلة وسقطت وزارة قومه وعقد مجلس حربى عالٍ لمحاكمته فحكم ببراءته ودمغه بحيثيات قضت على حياته نص بعضهـا ما يأتى « وحيث أن المجلس يرى أن اللوم فى الهزيمة واقع على من اختار هذا الرجل للقيادة وهو لا يصلح لها وأقل من أن يتولاها فلا لوم عليه ولا تثريب[1] » وفى الحق عُدَّ هذا الحكم بمثابة موت مدنى .

و بعد أن تم النصر للحبشة واستولى منليك على أسلاب الجيوش المهزومة اقتفى أثر الفلول الهاربة إلى ارتيريا فمر بحدودها ووضع يده على حصن ادجرى واستولى عليه وأخلى الطليان من تلقاء أنفسهم مدينة كسلا وحاولوا أن يجمعوا جيشاً جديداً ولكنهم عجزوا عن القتال بعد أن دب الرعب فى قلوبهم .

وكان منليك قد أنشأ مدينة أديس أبابا ومعناها بالحبشية الزهرة الجديدة وجعلها عاصمة ملكه فأرسل الطليان إليها فى اكتوبر سنة ٩٦ وفداً لعقد الصلح فكانت أشبه بسدان سنة ١٨٧٢ وفرساى سنة ١٩١٩ فعقدت المعاهدة وقد نص فيها على إلغاء معاهدة أوشالى وهى أصل البلاء لأنهـا أسست على الخداع وتغيير الحقيقة وجنى كريسبى وأنطونيلى ثمرات أعمالها !

وعاش منليك بعد ذلك الفوز ١٧ سنة كان أثناءها موضع الاحترام والتقديس فى أفريقيا والشرق ومصدر الرعب فى بعض ممالك أوربا ولا سيما إيطاليا .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المطبوعة الجديدة تحت كلمة معركة « عدوه »

## ١٠ — النظام الفاشي ومشكلة الحبشة

لا نريد أن نعرض للنظام الفاشي بخير أو بشر ، حتى ولا بالنقد البرىء المباح ، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل . و إن كنا نحترم السياسة ونقدرها ، ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق ، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذى قد لا يغتفر . هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان النظام الفاشي الذى ابتكره السنيور بنيتو موسولينى المعروف فى العالم باسم الدوتشى أى الزعيم قد أثبت وجوده وقدرته على الحيـاة فقدم بذلك البرهان التاريخى الذى لا بقاء لنظام اجتماعى أو سياسى بدونه وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدّى لوطنهم خدمة جُلّى وقضى على شرور كثيرة وجلب خيراً وفيراً ودَلّ بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى . وقد أثنى عليـه كل من شهده وجنى شيئاً من ثماره داخل ايطاليا ، وقد قلب ايطاليا رأساً على عقب وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض ، و إن الذين زاروا ايطاليا قبل تفشيه ، يكادون لا يتعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه لأنه صبغ كل شىء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمان المطلق والأمانة المطلقة .

ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كلمة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد ، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قومى وخطب سنيور موسولينى نفسه فى سنة ١٩٢٨ وقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير ، ولا تضمن نتائجها خارج حدود ايطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعاً أو حثاً للأمم على الاقتداء به ، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها . ولم نسمع بصاحب مذهب سياسى أو اجتماعى قبل

الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته ، بل على العكس تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة المطلقة والنجاح المطلق فى كل زمان ومكان . و إذن لا بد أن يكون سنيور موسولينى قد ذكر هذا القول عن مذهبه لحكمة خفيت على سامعيها فى ذلك الحين

وأظن بعض الناقدين لحوا إليها عرضاً فى كتبهم فقالوا إنه نظام جميل ونافع ولكنه يجعل الأمة معلقة باهداب رجل بعينه ، فان شاخ أو مرض أو مات (مد الله فى أجل الدوتشى ليجنى ثمار أقواله وأعماله فى الأولى وفى الآخرة) إذن لتعطلت الأداة الحكومية وتلكأت فى انتظار ظهور خير خلف لخير سلف ! فى حين أن الواجب يقضى بأن تكون القوانين العامة والخاصة هى الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص . ومما لا ريب فيه أن هناك نظريات متعارضة فيما يتعلق بالقوانين وطريقة تنفيذها ، فقد يكون القانون الردىء أداة حسنة فى يد رجل فاضل ، كما يكون القانون الطيب أداة سوء فى يد ظالم أو مستهتر . وسوف يعالج المؤرخون فى المستقبل مسألة الفاشيَّة هل قامت على عنق رجل واحد وتفكيره ، أم قامت على دعائم قوانين عادلة فاضلة ، أم أنها نهضت بالأمرين معاً : الرجل الفاضل والزعيم الكفؤ والقوانين المنصفة ! ؟

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فان الكثرة من الكتاب أجمعت على نفعها فى مسقط رأسها ، والقلة المدركة ، ومنها من أوذى وهاجر باختياره أو نفى مرغماً ومنهم من ألف كتباً صوب فيها سهام نقده الى الفاشية .

ونحن مع محافظتنا على الحياد الذى أعلناه فى مستهل هذه الكلمة نعتقد أن الفاشية وان نجحت فى الداخل ، فلم تجد لها نصيراً فى الخارج ولم يفز مقلدوها بطائل ، لا فى انجلترا ولا فى ايرلاندا . ولا يصح القول بأن الهتلرية نوع من

الفاشية ، وان كانت تشبهها فى تفرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذى يفرق بين الفاشية والهتلرية هو أن الأولى قامت باسم الاصلاح الداخلى ، والأخيرة قامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبي والخلاص من قيود معاهدة فرسايل ، واذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لغاية تختلف عن غاية الفاشية الايطالية ، دع عنك الاختلاف فى أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما .

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولاشقيقتها الصغرى ، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربى والسياسى لألمانيا فى القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين . أما الفاشية فهى فكرة مبتكرة قامت فى ذهن رجل واحد ظن أنه يصلح شعبه بتنفيذها ، ووجد من نفسه شجاعة وإقداماً وعزماً فأثر فى نفوس معاصريه من مواطنيه ، ولا سيما الشبان منهم والطامحون إلى الأعمال والمتلهفون على المجد ، والمنتظرون لمنقذ يظهر فجأة فى أفق الوطن الذى كان خالياً فى تلك الفترة من رجال عظماء ، أو ممن لديهم قدرة كافية على التقدم للزعامة[١] .

ولما كانت أوروبا بعد الحرب العظمى قد أصبحت نهباً بين الديكتاتوريين ( ولا أحب أن أصفهم بالطغاة ) فظهر بريمو دى رفيرا فى أسبانيا ، وبانجالوس فى اليونان ، وبلودوسكى فى بولونيا ، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمعة فى فرنسا . وفى ظلال هذه الديكتاتوريات قامت الفاشية ، وأضافت إلى قميصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذى . وقد يجد الباحث فى نشأة الفاشية ما يدل على أن الزعيم الايطالى لم يكن يرمى إلى امتداد النفوذ الفاشى إلى ما وراء الاصلاح الداخلى الذى كانت إيطاليا فى أشد الحاجة إليه عقيب الحرب الكبرى ، وابتداء عهد الاشتراكية فى شمال إيطاليا .

---

(١) أغلب النقاد على أن الفاشية وليدة الراسمالية والرجعية متضافرتين ضد الاشتراكية وحرية الفكر راجع ( مجلة كوارترلى رفيو ومطبوعات مارتين لورنس الخ )

وقد تمكن الزعيم الإيطالى فى مدى عشر سنين من تنفيذ النصيب الأوفر من الاصلاح الداخلى . فأنهض الشعب ، وأوجد له مثلاً عليا جديدة ، وأدخل فى روعه أنه سليل أمة مجيدة كانت لها امبراطورية مترامية الأطراف .

وتضافرت بعض الظروف التى لم تكن فى الحسبان ، وهى نتيجة الحالة السياسية العامة فى أوروبا التى أعقبت الحرب العظمى ، فجعلت لإيطاليا مكانة أوشكت أن تضع فى يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما عند ظهور النازى وانتصار الهتلرية . وبعد أن كانت شهرة الفاشية مقصورة على مناهج الإصلاح الداخلى تعدت إلى السياسة الخارجية . ويظهر أن بعض دول أوروبا تراخت فى تأييد نفوذها لانشغالها بالمسائل الخارجية ، وجدت مشاكل فى الشرق والغرب مثل حرب منشوريا وتفوق اليابان ، ورجوع أوربا فى غير وعى إلى سياسة الاتفاقات السرية ، ونسى ساستها أنهم عند ما أنشأوا عهد عصبة الأمم قضوا على سياسة المعاهدات السرية ، وفشل مؤتمر نزع السلاح ، وفشل المؤتمر الاقتصادى ، وأمست لوكارنو حلماً لذيذاً ، وقضى الموت على سترسمان و بريان وكانا ضماناً قوياً ضد الحرب ، وتسلحت المانيا وتزعزعت ثقة عصبة الأمم فى نفسها ، وانسحبت منها بعض الدول العظمى ، وهددت أخرى بالانسحاب . وتلبد جو أوروبا وظهرت بروق ورعود ، وأوشك الميزان أن يختل ، واغتال الفوضويون بعض الملوك ، وحدثت ثورة اليونان ومالت النمسا نحو الملكية .

فاشتم العالمون ببواطن الأمور رائحة البارود بعد ثورة النمسا وأعدت بعض الدول أساطيل هوائية قوية ، وكان العالم يتخيل أن مستقبله فى السلم والحرب سيكون فى الجو لا فى البر والبحر[1] وشعر الزعيم الايطالى أن هناك

---

(١) كتاب . ج . ه . ولز « كيف يكون العالم فى المستقبل » لندن سنة ١٩٣٤ وهو أهم مؤلفاته بعد التاريخ العام

فرصة سانحة للحملة الحبشية فى خفاء وهدوء ، لأن العالم مشغول بأمور أخرى غير أفريقا الشرقية ، ومن هنا بدأت المشكلة الحقيقة لأنه لو لم تكن النية معقودة فى إيطاليا على حرب استعمارية كبرى ما تشددت ايطاليا كل هذا التشدد ولانحلت العقدة بالتحكيم الذى حاولوه مرات عدة ، ولو أن عصبة الأمم احتفظت بهيبتها لخشيت إيطاليا عاقبة التمادى فى مخالفة الرأى الدولى العام . ولكن علم إيطاليا بدخائل الأمور فى العصبة وفى وزارات الخارجية شجعها على الاقدام مع شىء من المجازفة . وتهاونت الدول وأهملت واستمر الاستعداد وحشد الجيوش وجمع الذخيرة وتحميس الرأى العام فى إيطاليا وهو يكاد يكون كتلة واحدة . وليس فى إيطاليا للعمال أو الاشتراكيين صوت مسموع ، وإلا لقالوا كلمتهم ضد الحرب ، ولكن اخفات الأصوات ليس معناه أنها غير موجودة[١] .

ولكن كثيرين من الساسة والأذكياء وذوى الرأى خطأوا هذه السياسة لأسباب لا تعد ، وما زالت الحال على ذلك حتى حدثت شبه عزلة دولية ، فلا الأمم ولا الحكومات حتى التى كانت تعطف على إيطاليا استمرت على ولائها ، ولعل حوادث التاريخ المقبلة تدل على أن أصدقاء إيطاليا الذين وقفوا فى وجهها هم أشد إخلاصاً لها من الذين شجعوها ( إن كان هناك من شجعها على خوض تلك المغامرة ) وقد نتج من كل ما تقدم أن ظهر خطأ السياسة الفاشية فى التفكير فى هذه الحرب والاستعداد لها والتصميم على خوض غمارها مهما كانت النتيجة .

---

(١) من إخفات الأصوات ما حدث فى أول عهد الفاشية كاغتيال النائب المحامى ماتيوتى زعيم المعارضة وقد تعقبته الأحزاب الحرة فى أنحاء العالم وسجلت الاعتراف الذى صدر فى المجلس النيابى على لسان أكبر المسؤولين بأن «ضرورات السياسة تبيح ما حدث»

# ١١ – الزعامة الحديثة وانقياد الأمم

## والفرق بين البطولة والزعامة

ينظر الملأ الآن إلى الحبشة ، ويعتبرها بعضهم قلب العالم الذى يخفق ، كما ينظر إلى ايطاليا وما هى مقبلة عليه بعد ما بذلت من صنوف الاستعداد واتخذت من وسائل ، فلا يتبين الناظر فى الحالتين شعبين فى الشرق والغرب يخوضان حرباً طاحنة ، ولكنه يتبين زعيمين كبيرين أحدهما رفعه إقدامه وسعة حيلته من مصاف الأمراء إلى دست الملك وعرش الامبراطرة ، وقيل أنه سبط يهوذا وسلالة الملك سليمان الحكيم من بلقيس ملكة سبأ ، وهو يمثل أمة من أعرق الأمم فى حب الحرية والذود عن حياضها ، والثانى رجل من الشعب نشأ نشأته وعانى فى بداية حياته ما يعانى أمثاله حتى بلغ ذروة السلطان فى وطنه ، و بلغ قمة المجد والنفوذ بين بنى جلدته . وهو الآخر يمثل أمة كانت من أعرق الأمم فى المجد الحربى والسياسى ، وكانت لها السيادة على العالم فى عصر من أمجد عصور الحضارة الوثنية ، ولكنه تقلب فى مواطن الأحزاب ومذاهب السياسة .

ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا تطاولاً بين الزعماء ، ومظهراً لقوة إرادتهم ، ودليلاً على رغبتهم فى الفوز والانتصار على مزاحميهم ، فى ميادين المجد وعلو الصيت وضخامة الشهرة . وخصوصاً فى البلاد التى لا تكون فيها الأمة مصدر السلطات .

ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر فى نفوس بنيها . ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف كيفية استعمال هذه المؤثرات والعوامل

التى تؤثر فى النفوس ، فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح للزعامة إلى تلك العوامل وكيفية استعمالها تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الارادات الفردية حول فكرته الخاصة وارادته .

وهيهات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مسحوراً بالفكرة التى صار داعياً إليها حتى تستولى عليه ، استيلاء لا يرى معه الا الفكرة التى ينادى بها . و بدون هذا « الإيحاء الذاتى » لا يمكنه أن ينجح فى التأثير فى أذهان الجماهير ، لأنه لا شىء يحرك همتهم مثل مظهر الإيمان الذى يبدو على شخص الزعيم ، وان يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ فى صدق الآراء وصحة النظر، الا أنهم من أهل الهمة العالية وذوى الاقدام والعمل .

والفرق بين الفيلسوف والزعيم هو أن الفيلسوف كثير التأمل، والتأمل يؤدى الى الشك ، والشك ينتهى بصاحبه الى السكون ، دون الحركة لأن الحركة لا تصدر الا عن تصميم الارادة وهذا لا يكون الا ثمرة لليقين . أما الزعيم فلا يتأمل ولا يشك وحينئذ لا يركن الى السكون ، بل يدفعه عدم التأمل الى التصميم فالحركة و إذن تكون قوة الارادة للزعيم أنفع من سلامة الرأى وصدق النظر وحسن التبصر فى العواقب ولكن الذى يفقدونه من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم فى سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغى إلا لذوى الارادة القوية الذين يتسلطون عليها و يملكون زمامها ، فاذا ما أصبح صوت الزعيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت ارادتها فى ارادة الزعيم ، وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذى الارادة المتحدة .

وأول ما يصنعه الزعيم هو أن يخلق المعتقد فى النفوس ، سواء أ كان المعتقد سياسياً أم دينياً ولكن هذا المعتقد الذى يخلقونه فى نفوس الجموع يكون دائماً قد

نشأ وترعرع ونبت ونما فى نفوسهم . وأصحاب العقائد الجليلة لم يستطيعوا جذب القلوب إليهم إلا بعد أن ترنحوا هم بتأثير الفكرة التى أرادوا انتشارها ، فاوجدوا بقوة إرادتهم قوة التصديق التى هى الإيمان ومن كان مؤمناً زادت قوته أضعافاً فالإيمان قوة عند الزعيم وقوة عند الأتباع من المؤمنين بصدق الزعيم

ولا تخلو أمة من الأمم فى وقت من الأوقات من القواد ، غير أنهم جميعاً ليسوا من أهل الإيمان الصادق الذى يرتقى به صاحبه فيصبح رسولاً فى أمته ومبعوثاً لبنى جنسه، بل أن منهم رجالاً يحسنون القول و يتقنون الدعاية لأنفسهم ولا يلتمسون الزعامة إلا سعياً وراء منافع أشخاصهم فيوقظون فى أخلاق الأمة مراكز الشهوات ومشاعر الأهواء ليكسبوا رضاء الطبقات النازلة وقد تتسع دائرة نفوذهم وتمو قوتهم ولكن أعمار أمثال هؤلاء الزعماء قصيرة وأعمالهم سريعة الزوال

إن الزعامة فى أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد ، والمشاهد أن الذين قاموا بكبريات حوادث التاريخ أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين لم يكن لهم حول ولا طول سوى العقيدة ، سوى الإيمان ! ولكن متى وصل الزعيم إلى غايته احتاج إلى الاستبداد ليحتفظ بها .

لا ننكر على الفريق الأول مظاهر الحدة والشجاعة والإقدام ، ولذا تراهم سكارى بفكرتهم ، قد أطاعوها فامتلكتهم قبـل أن تمتلك أتباعهم ، وتراهم يجذبون الجماهير كما يجـذب المغناطيس الحديد ، فترامى الدهماء والعامة فى أحضانهم، و يعتنقون مذاهبهم بدون تأمل أو تفكير .. ولو كانوا محاربين، فان الجيوش تنقاد لهم انقياداً أعمى ، وقد يكون بين رجالهم وقادتهم من هم أقدر منهم وأكفأ فى فنونهم ، ولكنهم لا يكادون ينتهون مما ندبوا أنفسهم له حتى تتوارى تلك المواهب ، و يدخلوا فى الصفوف كبقية الخلق .

والفريق الآخر قد يكون أفراده أقل فخامة وأبهة فى الشكل والمظهر ، ولكنهم أدق تكويناً ، وأوسع دائرة ، وأقوى نفوذاً لأن لهم موهبة الدوام .

## اعتماد الزعماء على الخطابة وتثبيت دعوتهم فى الأذهان

و يعتمد الزعمـاء جميعهم فى تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة . وكل زعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير فى الجماهير ، ومنذ عهد سقراط الى يومنا هذا مرت العصور بزعماء ملكوا زمام أتباعهم بقوة الكلام حتى أن الأديان المنزلة بعثت لها العناية بأنبياء فصحاء حكماء وزودتهم بكتب منزلة . وحتى موسى عليه السلام طلب من الله أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله . وكانت عمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ فى أذهان سامعيها ، و إذا أنت رجعت الى خطب زعماء الشعوب فلا تجد الا المعانى نفسها قد أفرغت فى قوالب شتى وذلك لأنهم يعلمون بغريزتهم وادراكهم الباطنى أن التكرار يترك أثراً عميقاً فى أذهان الخاصة والعامة على السواء ، وكما ينتقل الفكر من عقل الزعيم الى عقل السامع فهو يثبت ويرسخ لأن ذاكرة السامع تتشبث به

فالزعيم حاذق فى حفر فكرته فى أذهان أتباعه . فاذا فاز الزعيم فى غرس فكرته فى أذهان البعض فقد ضمن الفوز على الجميع بحكم العدوى المعنوية والتقليد وهما قوتان عظيمتان كائنتان فى الجماهير تدعمان مواهب الزعيم وتشدان أزره .

وقد تبدأ الأفكار فى الطبقات النازلة ثم ترتقى إلى الطبقات الوسطى فالعليا مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية وارتقائها من طبقات الشعب الى الوزراء والعلماء وكذلك الأديان فانها تنتشر أولاً عند المظلومين والمعوزين والمحتاجين الى استعادة كرامتهم وحقوقهم وهذا سر انتشار النصرانية بين الضعفاء والفقراء ،

وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العظماء فصار منهم اشتراكيون متطرفون وكان عدد الذين دخلوا فى زمرة الاسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء مكة والجزيرة لأنه دين مساواة « وأكرمهم عند الله أتقاهم » فاستظلوا بسلطانه عليهم .

فالعمال لا يخضعون والزراع لا يطيعون أحداً إلا إذا كان ذا نفوذ قوى عليهم ، ولأن الأفراد اذا اجتمعوا شعروا بالحاجة إلى الطاعة وهم يخضعون لمن ادعى السيادة عليهم .

وقد أدت تلك الحالة ، وضعف الحكومات فى بعض ممالك أوروبا إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة . ومحو تلك السلطات وتلاشيها فى أشخاصهم

وقد تجلت الزعامة الحربية فى رجال أمثال نابوليون بونابرت الذى جمع بين صفات الزعامة ، كقوة الإرادة والقدرة على اقناع الجماهير ، وبين الكفايات الحربية والسياسية التى أهلته إلى الانتفاع بمواهب الزعامة فى إنتاج أعمال مثمرة لوطنه ولنفسه .

وقد دلت دراسة أخلاق الزعماء ونفسياتهم على أن نوعاً منهم حبته الطبيعة بالحزم والعزم والإرادة الثابتة ولكنها منحت تلك المواهب إلى حين ، وهؤلاء يشبهون النجوم ذوات الأذناب التى لا تلبث أن تظهر وتخترق الجو فى سرعة مدهشة حتى تختفى . أما النوع الآخر فقد حبته الطبيعة بالمواهب الكاملة وقوة الإرادة مع الثبات والدوام والاستقرار ، فالنوع الأول أمثال روبسبير وغاريبالدى وميرابو ودانتون والنوع الثانى أمثال الأنبياء وكبار المصلحين .

وان هذا الرأى لا ينافى الحقيقة الواقعة وهى أن أصل الأفكار الكبرى المحركة للعالم تبدأ عند العظماء ثم تنتشر رويداً فى الدهماء ثم ينتحلها الخاصة بحكم التقليد أو الاقتناع الوقتى أو الاضطرار حتى تصير حقائق راسخة .

وقد تمضى حقبة طويلة لتمام هذه الدورة العجيبة .

فإذا ما بث الزعيم من أى نوع، فكرته فى اتباعه أمست له عليهم سيطرة وسلطان ونفوذ وهذه المظاهر تولد الطاعة والاحترام حتى يصلا إلى أعلى درجات الإعجاب التى تشبه العبادة ولذا ترى القرآن يذكر النبى والمؤمنين بأنه مذكر وليس عليهم « بمصيطر » أى منفرد بالسلطان ، ولكن السيطرة المعنوية كائنة لا ريب فيها ، وهذه السيطرة واسعة النطاق حتى أنها تدب فى نفوس التابعين فى حضرة الزعماء وغيبتهم وحتى بعد موتهم تكون لهم طاعة تامة فيمتد سلطانهم إلى ما بعد الموت بمئات السنين أو ألوفها وقد يقوى هـذا النفوذ كلما تغلغلت آثار الزعيم العظيم فى أحشاء الزمان كما هو المشاهد فى تأثير الأنبياء وكبار القادة والحكماء فيكفى أن تذكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أو عدل عمر أو صداقة أبى بكر أو حكمة سقراط أو هيمنة بونابرت حتى تستعيد ذكراه وأعماله فيكاد يكون لديك ماثلاً .

وإذا سارت فكرة السيطرة فى النفوس قضت على فكرة الانتقاد أو المحاسبة فيمسى كل ما يقوله الزعيم ويفعله أوما قاله وفعله ، فوق البحث وبعيداً عن دائرة التمحيص ، ويمسى الأتباع أو المؤمنون كأنهم مسحورون ، ولذا وصف القرشيون محمداً بأنه « ساحر » لا لبلاغة القرآن فقط ، بل لقوة الرسول فى اجتذاب القلوب وتأليفها . وهذه السيطرة قد تستمد من شخصية الزعيم كما كانت الحال لبونابرت أو من مكانته فى المجتمع وشهرته بعلمه أو منصبه أو ماله . وهذا هو السر فى اختراع الأزياء الرسمية والملابس المزينة والأوسمة والنياشين والعلامات الدالة على الرتب ، ولكن هذه الوسائل المصطنعة لتكوين السيطرة وخلقها فى النفوس لا حاجة بها لمن حبتهم الطبيعة بالقوة الشخصية الجذابة التى لا تحتاج إلى كلام أو وعيد أو تهديد . أو ثياب مزركشة تجعل لابسها كالخيل المطهمة !

ومن هذا القبيل ما وقع بين محمد وعمر بن الخطاب ، فان نظرة من النبي كفت ، لتغيير قلب عمر فقد كان أشد الناس بغضاً له ، ثم انقلب من أخلص أصدقائه وأطوع أتباعه ، وهذه القوة الجذابة تحير الناظر اليها وتوقع فى قلبه الرعب وما تزال الحيرة والرعب حتى يتمكن حب الزعيم من قلوبهم .

ثم يأتى النجاح ، فيتوج عناصر المجد التى يحتاج اليها الزعيم ، فيفرح أتباعه به ، وتتوطد أركان محبته فى قلوبهم فيؤمنون به و يضحون بأنفسهم فى سبيله لأنه يصبح حقيقة خالدة ثابتة لا تهتز ولا تتزعزع . وقد يكون النجاح وحده سبباً للعظمة ولاحترام الجماهير ، لأن النفس البشرية مفطورة على الاعجاب بالناجح « ولأم المخطىء الهبل » ليس عند العرب وحدهم بل عند كل الأمم . فاذا كان كل عماد الرجل فى السيطرة على ما يواتيه من النجاح فان هذه الدعامة ضعيفة بل منهارة لأن النجاح أمر وقتى وليس مضموناً دائماً ومن يصادفه النجاح اليوم قد يخطئه غداً .

ولكن الزعيم الصحيح هو الذى يعتمد على مواهبه الفطرية ثم يأتيه النجاح فيزيده سلطة ونفوذاً ، ولكن هذا النفوذ لا يجوز أن يكون عرضياً بحيث إذا تركه النجاح يوماً فلا يقلل ذلك الاخفاق من سلطانه على النفوس .

وقد رأينا فى تاريخ الزعماء أن الفشل لا ينال منهم ( موقعة أحد فى تاريخ محمد عليه الصلاة والسلام ) ، بل قد تنقلب العادة فيقوى مركزه بالفشل لأنه يعد نفسه لنجاح أعظم وأبهر من الذى فقده .

### وقد تخلق الشعوب أربابا تعبدها !

وكثيراً ما يحدث أن تتخذ الجماعات ، أو الأمم رجلاً عادياً ضئيلاً ثم ينسبون إليه من العظمة والجبروت ما هو مستعار من أحوال عصره ، وظروف وقته ، فيكون الوقت هو الذى أحدثه وشهره ، فهو ابن الوقت ، وكل ما جرى

على يديه هو من فعل الوقت لا من فعله . وأكثر ما تكون هذه الظاهرة عقيب الفواجع الكبرى فى التاريخ كالحروب العظمى ، وحلول الحيرة فى أذهان الأمم محل الهدوء وحسن النظر ، ولا سيما إذا كانت الأمم التى يظهر فيها أمثال هؤلاء الزعماء أو الأبطال خارجة مهزومة من حرب ، ومكتومة الأنفاس بفعل أرباب رؤوس الأموال ، الذين يخشون تفوق المذاهب الاجتماعية الحديثة كالاشتراكية، فهم يموتون فى جلودهم خشية توزيع الثروات أو ضياع أماكنهم الدافئة المطمئنة فيتشبثون باهداب أضأل المخلوقات وأضعفها إذا كان أحد هؤلاء الضعفاء مصبوغاً بصبغة المغامرة والمجازفة ، أو مطموراً فى حفرة اليأس ، ويريد هو الآخر أن ينجو بجلده من الفاقة ، وأكثر ما يوجد هذا الصنف من الرجال بين أدعياء السياسة ، والمتهالكين على درجات سلم الوصول إلى المال والمنصب ، ويكونون عادة من ذوى الأعصاب المنهوكة والقوى المتداعية فيدفعهم اليأس والضعف والمرض الى الاستهتار بالحياة فيلعبون بالورقة الأخيرة ، ويطلقون الخرطوشة الأخيرة ، وينزعون القميص الأخير ويخرجون بالجملة من جلودهم كما تخرج الثعابين والأفاعى فيقلبون لذويهم وأصدقائهم بالأمس ظهر المجن ويتخلون عن المبادىء التى كانوا يقدسونها بالأمس ، ليجدوا سنداً وعضداً من خصوم اليوم الغابر ، وهؤلاء يجدون فيهم أدوات صالحة لتنفيذ غاياتهم ، وما عليهم إلا أن يظهروا لأهل الأمس بالمعاداة والمقارفة والمعاكسة والمشاكسة ويبادروا أول ما يبادرون إلى إلقاء أصدقاء أمس الدابر فى المهالك تحبيساً وقتلاً واغتيالاً وتحقيراً ونفياً لأنهم هم الواقفون على أسرارهم والملمون بأخبارهم والعالمون بما ظهر وخفى من امورهم ، وفى الأغلب يكون ما خفى هو الأعظم !! ومهما يظهر من الخير على أيدى هؤلاء فإنه وقتىّ وزائل ، كالزرع الذى

يختلقه « الحاوى » ينمو لساعته وتحت أبصار النظارة ، ويزكو فى أرض غير خصبة بغير بذور ولا « تقاوى » ولكنه لا يلبث أن يذوى ويذبل ويتلاشى ويختفى ويغيب عن أعين المعجبين به . ويتلوه القحط والعياذ بالله والخراب !

والحقيقة أنه ما كان عصر من العصور ليخرب ويتلف لو أن أتيح له رجل كبير يجمع بين العقل والتقوى ، بين عقل يعرف به حاجة العصر ، وعزم يمضى به فى إبلاغ العصر حاجته، وفى هذين صلاح العصر وفلاحه . ولكن العصور الحديثة، ولاسيا بعد الحرب الكبرى من ١٩١٤ الى ١٩٣٥ ظهر أنها عصور ضعيفة واهنة، مصابة بالبلاء والحيرة والشرور والخبائث بسبب علة أذهانها الشاكة المرتابة العاجزة ، وأحوالها المختلطة المضطربة يحدوها سائق الشقاء إلى غاية التلف ... نشبه كل هذا بحطب يابس ميت ينتظر من السماء شهاباً يشعله ، فإذا ما ظهر نيزك من النيازك الخلابة ، التى تخترق الأفق وتنحدر منحرفة ، ظنوه ذلك الشهاب الثاقب ! وسرعان ما يترامون على وهمه وخياله وصورته فتضيع عليهم الحياة بآمالها ، ويهلكوا فى أثر هذا الشعاع الكاذب ، أو سراب النور الخادع .

## تأثير الخطب الرنانة والكلام الطنان فى مصائب الشعوب

ونحن بلا ريب فى جيل قحط وبؤس وجفاف ، وحطب يابس وجحود وكفر وضلال ، وهو جيل تسبقه وتلحقه وتحدوه وتعقبه الفتن والثورات التى تكون مملوءة بدلائل الاضمحلال والبلى والخراب ، وسقوط الدول فى مهاوى الاستبداد ، وتدهور الشعوب فى مغاور اليأس وكهوف القنوط . ولذا تراهم يتمسكون بأضعف المذاهب وأوهاها وأذلها وأقلها ، ويجرون وراء كل صاخب . فداء الضعف فى الجيل وفى ضآلته ومرضه واعتلاله واختلاله واضمحلاله وانحلاله . هذا هو ما نراه سر الوثنية الانسانية التى أدت إلى عبادة بعض الأشخاص الذين

ألهمهُم الجهل وقِصرُ النظر ، فأفرطوا فى العجب والاندهاش من الشىء أو الشخص حتى يصيرا تقديساً وعبادة .

ويكون اعتماد جميع هؤلاء الزعماء والأبطال على الخطابة للتأثير فى اذهان الجماهير ، التى يستغويها زخرف القول وتستهويهـا عذوبة الألفاظ وتغرر بها الوعود الخلابة . وليس معنى هذا أن الجماهير تعيش بلا عقل ولا تفكير أو أنها لا تتعقل ما تسمع أو لا تتأثر بالمعقول ، لأن المشاهد عكس ذلك والاختبار دل عليه ولكن الفرق بين الفرد والجماعة فى طريقة التعقل والاقتناع هو أن طبقة الأدلة التى تقيمها الجماعات تأييداً لأمر من الأمور أو التى تؤثر عليها ، منحطة جداً من الجهة المنطقية فلا يصدق عليها اسم الدليل إلا من باب التشبيه . فتعقل الجماعة عبارة عن الجمع بين أشياء متخالفة لا رابطة بينها إلا فى الظاهر والانتقال الفجائى من الجزئى الى الكلى ومن التخصيص الى التعميم بلا تروّ . والأدلة التى يقدمها اليها أولئك الزعماء والأبطال الذين عرفوا كيف يقودونها كلها من هذا الطراز لأنها هى الأدلة التى تؤثر فيهـــا بخلاف سلسلة من الأدلة المنطقية فانها لا تدركها .

وكثيراً ما تعجب أيهـا القارئ عند مطالعة بعض الخطب ( التى تسبق الحروب أو الحركات القومية فى بعض الممالك المفتونة بعبادة هذا الزعيم أو ذاك ) من التأثير العظيم الذى أحدثته فى سامعيها على ما بها من الضعف والركاكة وذلك العجب منك لأنك نسيت أن تلك الخطب قد وضعت خصيصاً لتؤثر فى الجموع الزاخرة والجماهير الحاشدة لا ليقرأها العلماء أو أهل المنطق وهكذا تجد الزعيم الخبير بأحوال جماعته ، الواقف على بواطن أمورها الملم بنفسيتها ، يعرف طريقة استحضار الصـور التى تجذبها فاذا نجح فذلك غاية ما أراد ، ولو أن

أكبر العلماء وأقدر الساسة ألف مئات الخطب فى عشرين مجلداً بعد ذلك ما كان لها من التأثير ما أحدثته تلك الكلمات التى دخلت فى الرؤوس المراد اقناعها . ولسنا فى حاجة الى القول بإن عدم قدرة الجماهير على التعقل الصحيح يذهب بملكة النقد فتمسى غير قادرة على تمييز الخطأ من الصواب فلا تحكم حكما صحيحاً فى أمرٍ ما .

## عاقبة الظلم والتعدى على القريب والبعيد

يعد هذا القول منا بمثابة كشف القناع عن أسرار بعض المظاهر السياسية والاجتماعية التى نراها ونحار حيناً فى تفسيرها وتعليلها . فلو رأينا رجلاً واحداً يظهر فجأة لينادى بمبادئ تخالف ما كان يتبعه بالأمس وخلفه رجال يشدون أزره باسم الدولة والمجد ، ثم يقود قومه بمفرده إلى الهاوية و يدفعهم إلى الهلاك فَرِحاً مستبشراً وهم لا يترددون ولا يفكرون فى مصيرهم ، وعماد هذا الرجل فى تلك المجزرة البشرية والتردى فى مهاوى الدمار خطبه التى يلقيها من على ظهر جواد أو على قمة جبل أو مرتكناً إلى دبابة أَوْ مدفع فاعلم إنه من هذا الطراز الذى سبق وصفه ، وأن ما سبق له من إصلاح أو خير فى عمار دار أو ترميم جدار ، إنما كان نوعاً من استدراج الشيطان له ولقومه حتى يلقوا حتفهم و يقعوا فى أحضان الفناء بمحض رغبتهم واختيارهم و إن هذا الاستدراج الشيطانى قد أصمّ آذانهم وأعمى أعينهم وكف أبصارهم وطمس على قلوبهم فلم يسمعوا نصحاً ولم يتبعوا هداية ، بل أن هذه القلوب نفسها لم تَلِن أمام أنات الإنسانية المعذبة ، وتلك العقول التى كان دأبها الإدراك أو من طبيعة تركيبها ينبغى لها الإدراك قد فقدت أدوات التفكير وانقادت إنقياداً أعمى وهى تنادى من أعماق قلبها ليحيى الأمبراطور أو الزعيم أو الملك العظيم ! وما نداءها وهتافها وتحيتها إلا للشيطان

الرجيم الذى ملأ النفوس بالغرور ، وأذهب من ذوى العقول عقولهم ليعودوا سيرتهم الأولى من الانحدار والانحطاط والسقوط

إذا قال زعيم صينى فى خطبة إننى أحارب لأعيد مجد منشو القديم وأجدد عظمة شنج لى — كنج وأبعث جلال فو — شو — لو من مرقدها ، فان أهل بكين وشنجاهاى وكانتون ونانكين يصغون إليه فى خشوع وخضوع و يحملون السيوف والبنادق وراءه ليحار بوا ، ليفنوا ، ليجددوا المجد ! كذلك إذا نادى رومانى قديم بأنه يحارب لإعادة مجد رومة الداثر و إقامة حظها العاثر ، فالبسطاء من قومه يصدقونه و يسيرون وراءه عملاً بقول نابوليون بونابرت فى مجلس شورى الحكومة :

« إننى أتممت حرب الفندائيين لما انتحلت الكثلكة ، واستوليت على مصر إذ أسلمت ، وتوجت بالظفر فى حرب إيطاليا لأنى قلت بعصمة البابا ، ولو كنت أحكم شعباً يهودياً لأعدت بناء معبد سليمان [١] »

ونحن إن أنكرنا على بطل أو زعيم ذكاء العقل أو بعد النظر أو حب الخير أو العطف على قومه أو التقلب فى المبادئ أو قلب ظهر المجن لأصدقائه وسادته ، بالأمس فلا ننكر عليه المهارة والحذق فى معرفة كيفية التأثير فى خيال الجماهير . فقد أتقنه بالفطرة أو أنه كان قوة كامنة فى حنايا ضلوعه ، وفى أركان عقله الباطن ، حتى أظهرته الحوادث وقد ظهر لنا وللعالم أجمع أن التأثير فى خيال الجماعات كان همه الدائم فلم ينسه فى فجر حياته ولا فى ضحاها ، ولم يهمله فى مغامراته الأولى والأخيرة ولم يفرط فيه فى انتصاره وخذلانه لا فى أقواله وأفعاله ولا فى عمل من أعماله بل

---

(١) أخطأ الأستاذ أحمد حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث فى قوله إن نابليون بونابرت لم يسلم .

هو يفكر فيه ليل نهار وسوف يفكر فيه على سرير موته بعد عمر قصير أو طويل

وأن هـذه الخطب ، لتوهمن سامعها أن هذا النظام أو ذاك الذى ابتكره زعيم من الزعماء هو الذى جعل أمة من الأمم القديمة أو الحديثة سعيدة أو غنية ، وهذا خطأ من الاخطاء المعنوية التى تشبه خطأ البصر أو السمع الذى قد يؤدى الى سوء الاستنتاج فى المرئيات والمسموعات . لأنه ثبت بالاختبار التاريخى أن التأثير الحقيقى فى حياة الشعوب لا يكون من طريق النظم أو تغييرها فلا يمكن أن يقال الجمهورية أفضل من الملكية أو الديكتاتورية أنفع من الديموقراطية فاذا نظرنا الى جمهورية الولايات المتحدة رأينـاها ترفل فى حلل الرخاء وتخطر فى جلباب السعادة بفضـل نظمها الديموقراطية ، حتى اذا رجعنا الى الجمهوريات الاسبانية الأمريكية (وهى التى تتمتع بنظام جمهورى كالولايات المتحدة) ألفيناها تتعثر فى أذيال التقهقر والفوضى ، وحكمنا بأنه لا دخل لتلك النظم فى سعادة الأولى ولا فى شقاء الثانية ، و بأن الذى يحكم الأمم إنما هو أخلاقها وكل نظام لا يندمج مع هذه الأخلاق و يمتزج بها تمام الامتزاج يكون أشبه بالثوب المستعار وهو ستار لا يدوم .

لقد قامت حروب دموية وهبت ثورات عنيفة وستقوم حروب وتهب ثورات وكان الغرض منها وسوف يكون إلزام الأمم بنظم يعتقد الناس أنها مجلبة السعادة وقد يقال إن النظم تؤثر فى نفوس الجماعات لأنها تفضى إلى مثل تلك الحروب والثورات والصحيح أن لا تأثير لها البتة لأنا قد عرفنا أنها لا قيمة لها فى ذاتها سواء أكانت الغلبة لها أم عليها و إنما الذى يؤثر فى الجماعات أوهام وألفاظ وعلى الأخص الألفاظ الخيالية . وقد تؤدى تلك الألفاظ الخيالية القوية الى المطامع القومية والحروب الاستعمارية التى يصحبها اهراق الدماء

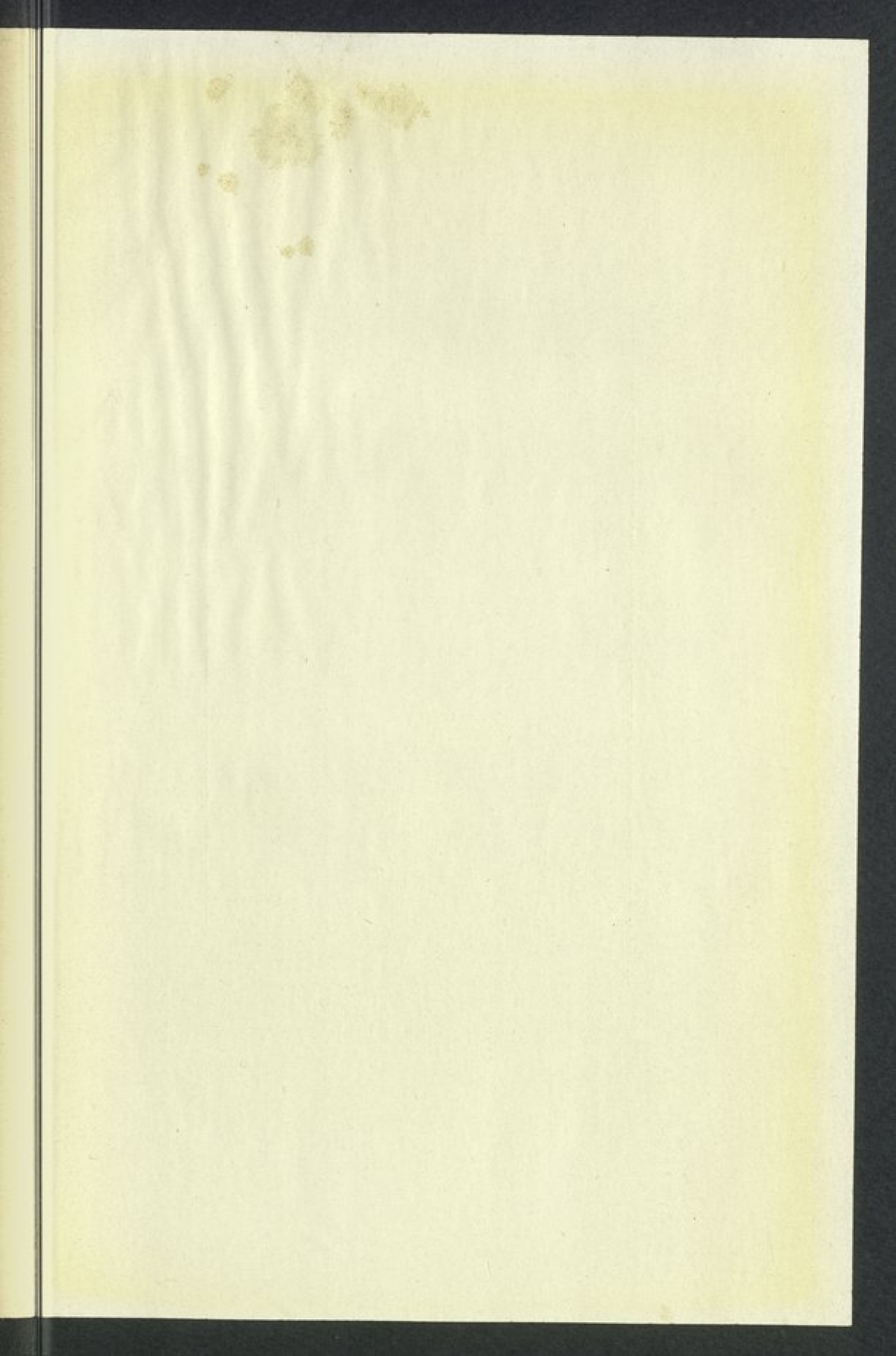
وخراب الممالك والتعدى على الشعوب الآمنة ، المطمئنة وتقويض أركان السلم فى أنحاء العالم القريبة والبعيدة .

وقد كان لبعض رجال السياسة فى أوروبا ولا سيما فى الأمم اللاتينية أسوأ الأثر فى حياة شعوبهم ومن هؤلاء الرجال جورج كلمنصو الذى كان يسمى بالنمر وسمى «أبا النصر» Père de la victoire ثم أهملته الأمة الفرنسية أعظم إهمال ونبذته لأنها قرنت اسمه بكل أهوال الحرب ومصائبها . كانت إشارة من هذا الرجل تكفى لقلب الوزارة ، وقد أوضح أحد الكتاب مقدار تأثير ذلك الوزير فى الكلمات الآتية « إنّا مدينون لموسيو فلان وحده بكوننا اشترينا التونكين بثلاثة أضعاف ما تساويه وبكوننا لم نضع فى مدغشقر إلا قدماً متزعزعة وبكوننا غلبنا فى مملكة كاملة جنوب نهر النيجر وبكوننا أضعنا ما كان لنا من النفوذ الخاص فى الديار المصرية ألا إن نظريات موسيو ( فلان ) قد كلفتنا من الخسائر أكثر من مصائب نابليون الأول ! »

وهكذا كانت عاقبة پوانكاريه فى فرنسا ، ولويد جورج فى انجلترا ، وودرو ويلسون فى أمريكا ، وغليوم الثانى فى ألمانيا ، ونابوليون الثالث فى الإمبراطورية بعد حرب السبعين وكل هؤلاء كانوا من أكابر الزعماء والوزراء وبعضهم ملوك فما بالنا بمن هم أقل منهم بدرجات ومراحل أمثال سنيور بنيتو موسولينى واضرابه ؟ !



سنيور بنيتو موسولينى زعيم ايطاليا
ومحرك الحرب الحبشية الايطالية



# ١٢ — إعراض إيطاليا عن نصح الناصحين

## وخسارتها الفادحة فى المال والرجال فى اريتريا

### منذ استعمارها فى سنة ١٨٨٨ إلى الآن

لا يعلم الا القليلون من الطليان وغيرهم قيمة ما تتكبده إيطاليا من الخسائر الفادحة من الرجال والمال منذ خمسين عاماً فى أفريقيا الشرقية وقد قدره أحد الاحصائيين بأكثر من خمسين مليون جنيه من المال ومليونين من الرجال بين قتلى وجرحى وصرعى قضوا نحبهم بالأمراض والأوبئة .

وإلى القارىء العربى بيان وجيز ، مع العلم بأن هذه الحرب الناشبة كلفتهم إلى الآن اكثر من ثلاثين مليون جنيه .

فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبعد استيلاء فرنسا على تونس ببضع سنين نزلت حملة عسكرية قوامها عشرون ألف جندى بقيادة الجنرال سانما رزانو بمصوع[1]

وكانت إيطاليا تعلم أن محاربة الحبشة ليست أمراً سهلاً ، ولا مأمون العواقب ، فرجت انجلترا فى الوساطة بينهما فنفذت بريطانيا رجاء إيطاليا ، ولكن الرأس يوحنا لم يقبل الصلح ولكنه أحجم عن مهاجمة الطليان وأعرض عن تحريض رأس الولا وتربص مدة فى معسكره بلا حركة إلى الأمام أو إلى الوراء ، ثم انسحب إلى الداخل تاركاً الجيش الايطالى وشانه ، فخاف الجنرال سانما رزانو وقواده الأربعة جانه ولانزا وجانى وبالديسارا عاقبة اقتفاء أثر الأحباش ورجعوا بقسم من الجيش الايطالى الى ايطاليا وبقى القسم الآخر فى جوار مصوع .

---

(١) ٨ نوفمبر سنة ١٨٨٧

ولما تولى منليك الثانى ملك الحبشة بعـد مصرع يوحنا فى القلابات ( ١٨٨٨ — ١٨٨٩ ) ثار عليه أهل مقاطعة تيغرى بحجة أحقية رأس منغاشا ابن يوحنا فى العرش الامبراطورى ، وكان هذا الرأس أميراً على المقاطعة المذكورة . فلما رأى منليك ذلك طلب إلى القائد الايطالى بالديسارا أن يحتل أسمرا بجنوده الطليان ليتمكن منليك من ارغام التيغريين على الرجوع إلى طاعته .

ولما كان بالديسارا طموحاً فقد فتح مدينة كرين فى مقاطعة بوغوس و بلغ أسمرا فى ٣ أغسطس سنة ١٨٨٩ . وفى ديسمبر من تلك السنة سافر بالديسارا إلى ايطاليا وحل محله الجنرال أورارو فتوغل فى البلاد .

وكان منليك استعاد قوته ونفوذه و « شم نفسه » فاحتج على أعمال القائد الايطالى . ولكن احتجاجه لم يثمر وعينت ايطاليا الجنرال جاند ولفى والياً على اريتريا واعتبرتها مستعمرة ايطالية وما زالت تحارب الأمراء والرؤوس وتخضع الأهالى تارة وتمالئهم طوراً .

وقد اتخذ الطليان فى مستعمرة أرترية خطتين سياسيتين ، الأولى سياسة شوا ومنليك ، والثانيـة سياسة تغرى ورأس منغاشيا . فكانوا يبحثون عن الطرق والوسائل التى تعود عليهم بالمنفعة من التفريق بين هاتين المقاطعتين ، عاملين بمبدأ « فرق تسد » فكانوا إذا لاينهم منليك انقضوا على منغاشيا ، وإذا مال إليهم منغاشيا انفضوا من حول منليك .

وكانت نتيجة تلك السياسة الايطالية معاهدات وحروب ، منهـا معاهدة مارب ، ومعاهدة أوكسيالى ، وموقعة حالايا مع باثا آغوس ، وفتنة اسماسق آبارار الذى أثبت أن التعلم فى مدارس الطليان والاصطباغ بصبغتهم لا يضعف القومية

ولا يوهن من حب الوطن ، بل قد يشعل نار الاخلاص للوطن فى نفس الشجاع ، وواقعة قواتيت ، ومعركة سه ناڤا ، واحتلال تيغرى ، وهزيمة أمبا الأغى وحصار مكلا ، وثورة عقامة ، وموقعة لينا ، وحرب إله فا .

ولم ينتفع الطليان بعد هذه الجهود بشىء سوى إريتريا . وقد خسروا بسببها « الجلد والسقط » قال ماركيز دى رودينى الذى رأس حكومة إيطاليا مرات عدة لدى جورڤيل مؤلف كتاب « مصر الحديثة » إننا نحن المجانين ( يقصد أمته وهو تأنيب المحب المشفق ) قد أنفقنا عشرين مليون جنيه فى غزو مستعمرتنا الصغيرة السيئة الحظ المسماة باريتريا ، وهى تكلفنا منذ غزوناها فى كل عام ٢٨٠ ألف جنيه ، والله يعلم ان كانت ستدر علينا شيئاً من الخيرات أم تبقى عاقراً مجدبة لا خير منها[١]

لقد احتلت إيطاليا إريتريا فى سنة ١٨٨٨ فتكون نفقاتها على تلك المستعمرة الأفريقية كما يأتى :

| جنيه | |
|---|---|
| ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ | نفقات الغزو |
| ١٣,٠٠٠,٠٠٠ | نفقات من ١٨٨٨ — ١٩٣٥ |
| ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ | ثلاثة وثلاثون مليون جنيه |

فى حين أنه لا يوجد باريتريا من الطليان سوى ٣٥٠٠ مستعمر[٢] وهذا أحدث احصاء لسكان تلك المستعمرة من الطليان .

(١) ص ٢٦٧ كتاب مصر الحديثة
New Egypt — A.B. DE Guerville 1906

(٢) راجع مجلة LU الفرنسية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥

## ١٣ — هل لايطاليا أمل فى الفوز ؟

من أغرب أنواع التهويل ، وأوسع أبواب الارهاب ، التى لجأت اليها ايطاليا
وولجتها «مزعجة» الطائرات و«معجزة» الغارات والغازات . فتوعدت الأحباش ،
بأسراب من عفاريت الجو تصب على رؤوسهم وأبدانهم صنوفاً من المتفجرات ،
والمشتعلات ، والخانقات . . . بيد أن ثقاة الحروب الحديثة فى ايطاليا نفسها ،
لا ينتظرون أن تجنى جيوشهم فائدة كبيرة من تلك الأسراب المحلقة ، أو المعلقة ،
لقلة الأهداف التى تتجه اليها . ولا جرم أن للطائرات أثراً نافعاً فى استطلاع
حركات العدو ولكن مدى طيرانها فوق جبال الحبشة محدود بما يمهد لها من
المطارات وهو من أشق الأمور على القيادة الايطالية ، لوعورة المسالك ، وندرة
الفسحة فى الأرض الحائزة للشروط المطلوبة ، وأكبر المناصرين لايطاليا
لا يجزمون بما يعود عليها من الأجنحة الملتهبة أو المسمومة ، لأن الحكم على هذا
النوع من آلات الحرب لا يزال مرهوناً باختبار سلاح الطيران الايطالى فى
الحبشة . ففرح إيطاليا به والتنويه بنتائجه قبل التثبت من مقدماته سابق لأوانه ،
إن ايطاليا و إن تكن من دول أوروبا الحديثة ، إلا أنها لم تحز قصب السبق فى
الحروب فما عهدها بالهزيمة فى الحرب العظمى ببعيد ، كما أنها كانت ضعيفة
النكاية أعداءها فى طرابلس الغرب ( ليبيه ) فان إخضاع تلك البلاد الافريقية
( وهى أقرب الى ايطاليا من الحبشة بعشرات المرات ، وليس فيها أكثر من
٢٠٠ ألف عربى قاموا بحرب العصابات ) اقتضى من ايطاليا عشرين سنة ، مع
أنها لجأت فى محاربتهم الى وسائل تأباها الانسانية وتحرمها القوانين الدولية[١]
فمابالها بالحبشة على بعدها وقوتها، واستعدادها وعدد سكانها ووفرة جيوشها وقيام

(١) لم ينس العالم مأساة عمر المختار ورفقائه !

العالم لنصرتها؟! لا شك فى أن هذه الحالة ستضطر الحكومة الايطالية لأن تنفق بدرات من الأموال ومهج ألوف وألوف من الشبان والرجال وأن تقضى عمراً فى الحرب والنضال ، وهيهـــات ثم هيهات أن تحقق ما تؤمل ، لأن دونه أهوالاً وشدائد تشيب منها الأطفال دونها هزيمة عدوة بمراحل .

وليست الحبشة قوماً واحداً ولا قبيلاً مفرداً بل خليط من شعوب وقبائل شديدة الشكيمة يجرى حب الاستقلال فى دمائهم و يضيفون الى منعة معاقلهم الجبلية الوعرة كراهية للغرباء المعتدين لا حد لها و يشجعهم على الاستمرار فيها والاستزادة منها فتيانهم الذين رضعوا لبان العلم فى أوروبا وأمريكا ومصر .

ومن هذه الشعوب الأمحريون أو الأمهريون الذين تكتب المعاهدات بلغتهم لأنها أرقى اللغات الحبشية والشوعيين وغيرهم

ومهما يكن عـــدد جيوش الطليان فان أفران الحبشة وخنادقها، ومفاوزها ستنادى هل من مزيد ؟ لأن الجيش الأجنبى الزاحف ، ولا سيما من الشمال ، عليه أن يحصن القواعد التى يعتمد عليها فى مواصلاته ، مع عاصمة اريتريا وميناثها ، وهما أسمرا ومصوع ، وعليه أن يبقى فيها حاميات كبيرة ، فوق أنه محتاج الى إنشاء الطرق ثم تأمينها بعد إنشائها . ولا نظن أن موسولينى يخفى عليه أن كل تقدم من ناحية اريتريا محفوف بالخطر لأن فتح البـلاد يقتضى احتلال المراكز العسكرية وتنظيم ادارتها وابقاء حاميات كبيرة فيها ، فضلاً عن أن الجيوش الايطالية الجرارة تحتاج الى مؤونة وذخيرة تكادان تعجزان أعظم الأمم وأغناها فهى مضطرة لاستيراد كل ما تحتاج اليه من الوطن الأقصى وهو عمل شاق كبير النفقات . ولا يمكنها التعويل على أرزاق الحبشة لأن حاصلاتها الزراعية لا تكاد تكفى الأحباش أنفسهم ، مع قلة ما يحتاجون إليه بالمعارضة الى ما تحتاج اليـه الجيوش الأوربية المفطورة على الترف فى بلاد أفريقية بعيدة وفى حالة حرب . . . مع أمة موتورة ومهاجمة فى عرينها .

دع عنك مقاييس الحياة العادية بين الفريقين فان الأحباش فى وطنهم ، وهذا امتياز لا يستهان به ، وهم يفوقون خصومهم فى ملاءمة حال البلاد لهم ، ففى وسع الحبشى أن يجتاز مسافات شاسعة مشياً على أقدامه الحافية[١] وهذا ما يعجز عنه أهل أوروبا عامة وأهل الجنس الأبيض خاصة . وروى لنا بعض كبار ضباط المصريين الذين عاشوا فى الحبشة أن الحبشى يستطيع أن يطوى مسافة تتراوح بين ٢٥ و ٤٠ ميلاً فى اليوم ويقضى فى ذلك بضعة أيام متوالية دون أن يكل . فاذا ما ركبوا ، اعتلوا صهوات بغال أهلية خفيفة الحركة كثيرة الصبر قنوعة باليسير من الغذاء ، ويمكنهم أن ينقلوا على ظهورها المدافع الى قمم الجبال المنيعة ، فيعرقلون تقدم العدو باستعمالها من أعاليها . وغير خاف أن الرامى بالحجارة من أعلى جبل أقوى من المحارب فى السهل مهما كان سلاحه .

ولما كان الأحباش يحاربون وهم عصابات متفرقة خفيفة الحركة ، عارفة بالبلاد ، فان الطليان مضطرون لجماعات كبيرة من جنودهم ، ليتغلبوا على تلك العصابات ، ولكن تلك العصابات لا تحارب لتهزم أمام القوات الغازية ولكنهم يستدرجونهم الى الأودية والخنادق الطبيعية ليمزقوا شملهم[٢]

قال سنيور موسولينى إنه حسب لكل شىء حسابه ، فهل حسب حساب شق الطرق و بناء الجسور ونقل المواد اللازمة لها من إيطاليا الى جنوب البحر الأحمر ومنه الى أسمرا ثم الى المناطق التى يحتلها الجيش الزاحف ؟ وهل حسب حساب السيول التى تجرف أثناء تدفقها الجسور والطرق والمستودعات ومواد البناء؟

تكلمنا عن الارترية وما تكلفته إيطاليا فى سبيلها من القناطير المقنطرة من الذهب والجيوش المجهزة ، وأثبتنا أنها لم تعد على ايطاليا بطائل وليس لهذه

---

(١) لا يحتاج الجندى الحبشى الى حذاء وعلى الرغم من استمراره على المشى فان قدميه ناعمتان مسيحتان (البكباشى أحمد لطفى بك الذى كان حاكم القلابات بعد استرداد السودان)

(٢) Foreign Affairs Quarterly Review, October 1935.

المستعمرة قيمة سوى أنها تسيطر على منافذ التجارة الحبشية من الشمال وهى تجارة يسيرة ، وأكبر الصعاب فيها تعرض أهاليها لقلة الماء الناشئة عن ندرة الأمطار وقصر فصلها فى كل عام ، ولكنها تصلح قاعدة عسكرية ، ولعل هذه الصلاحية هى التى أغرت الطليان بها فبذلوا ما بذلوا ظناً منهم أنها تسهل عليهم الاستيلاء على الحبشة ، ولكن ما عرف عن الأحباش من حبهم للحرية وتمسكهم باستقلالهم يجعل كل طمع فى التوسع متعذراً إن لم يكن مستحيلاً . فقد سلحت الطبيعة هذا الشعب النبيل بطبيعة البلاد الجغرافية والطوبوغرافية ، فكانت تلك الطبيعة من أقوى الوسائل التى يعتمد عليها الأحباش فى الدفاع عن الوطن وحريته وأن الصعوبات التى تنتاب الطليان من الجنوب لا تقل عن مهالك الشمال فان الجيش الايطالى الذى يحاول التقدم من موغاديشيو فى جنوب الصومال الايطالى الواقعة على مصب نهر وبى شبيلى لا بد أن يخترق منطقة جافة طولها ٢٠٠ ميل قبل أن يصل الى آبار وال وال وغرغوبى الواقعة فى مقاطعة أوغادن وهى أصل النزاع بين الدولتين ، ولا يشبه هـذه المنطقة فى الجفاف إلا صحراء الدناكل الواقعة بين الهضبة والبحر فى الجنوب الشرقى من عدوه واكسوم وأديجرات .. وهذه المنطقة الصحراوية جافة جافية وبيئة واطئة ولم يفلح فى اختراقها من رواد أوروبا إلا لدوفيج نسبيت الذى لقى فى سبيلها من المصاعب والمتاعب ما جعله يسميها « عقر الخليقة الجهنمى »(١)

أما الجبال الحبشية فكثيرة ومنهـــا ما يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ قدم أو ١٥٠٠٠ قدم .

وإذن تكون الجيوش الايطالية معرضة لمخاطر الجبال وطول المسافات وقلة الماء وعقبات الخنادق الطبيعية التى خددها نهر التاكاز وروافده ، وكل هذه العقبات الكبرى تعرقل أى تقدم عسكرى فى الحبشة وراء عدوة .

---

(١) Extremita infernale di mondo

و يظهر للخبراء الحربيين الذين يرقبون الحالة فى الميادين الحبشية أن الطليان يوجهون جيوشهم الى طريق ماكال ومجدلا . وقد تقهقروا أمام ماكال ووقفوا هجومهم[١] وهذه نفس الطريق التى سلكها لورد نابير أوف مجدلا سنة ١٨٦٨ ضد الامبراطور ثيودورس ( انظر ص ٢٣ من هذا الكتاب )

ولكن الأحباش لم تغب عن ذاكرتهم هذه الموقعة فاستعدوا لاتقاء ما ينسج على منوالها أو يقاس على غرارها ولا يلدغ الحبشى من جحر مرتين !

و إذن لامنفذ للطليان فى تلك الجبال والوهاد ، لأن قنن الجبال الشامخة قد تصعد فى الجو كناطحات السحاب ، بل أنها لتخترق السحب وتعلو فى الجو فوق مناكب الغيوم وتنخفض انخفاضاً مفاجئاً الى أودية سحيقة ذاهبة فى جوف الأرض وليس بين هذا العلو الشامخ وذاك الهبوط السحيق سوى بضعة سهول مختنقة ، فكأن هضبة الحبشة أضراس آلة جهنمية تسحق كل من يقع بين فكيها !

وكأن الطبيعة المشفقة على الحبشة من هجوم أخلاف الرومان المتحضرين ومعيدى مجد الامبراطورية ! فلم تكتف بتضريسهم بتلك الأنياب الصخرية ، فكست بعض وديانها بنوع من الأتربة الحمراء التى تبدو صلبة جافة حتى إذا ضغط عليها أقل ضغط ( وناهيك بأحذية الجنود وعجلات السيارات والدبابات والطائرات وحوافر الخيل ) تحولت فوراً دقيقاً متناهياً فى النعومة ، فاذا جادها الغيث ، ولو كان رذاذاً ، تحولت معجوناً زلقاً كالصابون فيعسر السير فيها حتى ولو كان مشياً على الأقدام ، فتضطر الجيوش الى الوقوف فى أماكنها حتى تجمد أعين السماء ، وتشرق الشمس فتجف التربة بحرارتها ، واذا ما غيرت الجيوش الايطاليــة خطتها وحاولت احتلال جبال تانا الشرقية والشمالية فانها تعرض مؤخرتها لهجرم العصابات لأن تلك المنطقة الوعرة لا تزال فى أيدى عصابات لا تعرف للراحة طعماً ولا تسكت على تغلغل المحار بين الغرباء فى مواطنها

(١) بدأوه فى ٢٨ أكتوبر ووقفوه مرتين الاخيرة منهما فى ١٩٣٥/١١/٥

# ١٤ — النتيجـــة

لقد ثبت لدى العالم، أن إيطاليا الأوربية المسيحية المتحضرة معتدية، وأن الحبشة الإفريقية المسيحية الإسلامية، التى تكاد تكون فطرية، معتدى عليها. وأعلنت خمسون دولة من دول العالم مناصرتها للحبشة بالحق، لرفع الظلم عنها ولكنها لم تتمكن من منع الحرب بالقوة، فهذه قرارات تلك الدول الخمسين ممثلة فى عصبة الأمم تصدر، والمدافع تدوى، والطائرات تصب جامات نيرانها على الأمة المسكينة المظلومة، والدبابات تسحق أبدان أهلها وتهلك حرثها وزرعها ونسلها!

ولكن الحبشة على الرغم من ضعفها واستكانتها قد جردت من هذا الضعف وتلك الاستكانة قوة لم تستطع إيطاليا أن تستهين بها بل أقرت فى مواطن شتى بشأنها وبطشها. والعالم ينظر وينتظر، والإنسانية تتوجع وتتفجع، والحضارة والسلم تندبان حظهما لأن الإنسانية مقبلة على مأساة، لعلها لم تشهد مثلها حتى ولا فى الحرب الكبرى.

وإن مصر الجارة والصديقة بل القريبة بحكم الجوار والاشتراك فى القارة والماء لتبذل أقصى جهودها لنصرة الأمة المظلومة ولم تقصر فى تطبيق العقوبات الاقتصادية التى فرضتها عصبة الأمم، دون أن تتمتع بالمزايا التى يتمتع بها أعضاء تلك العصبة، فكانت أكثر من الدول الخمسين حباً للسلم ومدافعة عنه، لأنهن اشتركن فى تقرير العقوبات، أما هى فلم تشترك فى التقرير وانفردت بالتطبيق وهى خارج العصبة، وسوف تتحمل فى هذه السبيل خسائر جمة وهى عالمة بها وراضية.

ولعمرى إن موقف مصر فى الوقت الحاضر ليعيد إلى الذهن موقف بلچيكا فى سنة ١٩١٤. فلم تكن بلچيكا من أعداء ألمانيا، ولكنها وقفت فى طريقها لتحمى فرنسا أو مبادئها فاكتسحتها ألمانيا اكتساحاً وكادت تمحوها من الوجود. وها هى مصر قد تضافرت الظروف على وضعها فى هذا الموضع وها هى تتعاون

مع بريطانيا العظمى فى الدفاع عن مصالح الامبراطورية البريطانية وسلامة أملاكها فى أسيا وأفريقيا ، ويجىء الدفاع عن مصالح مصر عرضاً ، وقد امتدت يد انجلترا إلى الاسكندرية لتجعلها قاعدة بحرية لأنها أسلم عاقبة وأنسب وأحصن من مالطة . وانجلترا لا تريد أن تفاتحها مصر الآن فى طلب تكون عليه صبغة التهديد ، ولكن السياسة الحكيمة والنظر البعيد يحتمان على الدولة الصديقة أن تمد يدها لتتمم تصريح ٢٨ فبراير ، فى رفق وصداقة دون إرهاق أو إرهاب لتشعر مصر ذات الاستقلال والسيادة برجولتها وصداقتها ونخوتها وثمرة انضمامها إلى الأمم المتحضرة فى محاربة الظلم والوقوف فى وجه المعتدين وجعل عصبة الأمم أداة صالحة لتسوية النزاع بين الأمم كما يسوّى كل نزاع بين الأفراد فى المحاكم . فهل لانجلترا أن تطرد من مخيلتها فكرة خاطئة وهى أن مصر تهددها ، أو تريد أن تنتهز فرصة غير ملائمة وهى انشغال انجلترا فى البر والبحر والجو لتطلب منها مطالب لم تكن لتتقدم بها لو كان السلام سائداً ؟ إن مصر تريد السلم والصداقة ولا تريد الحرب والفتنة والعداء ، ولئن كانت بريطانيا العظمى بادئة بمد هذه اليد فهو أعظم ، فإن لبت نداء مصر وأصغت إلى صوتها بدون غضب ولا سخط ولا شماتة لخصوم الطرفين ، الذين لا يلبثون أن يظهروا فى الميدان كما تظهر الخفافيش فى الظلام لخيرلنا . إن سياسة بريطانيا كما دلت عليها جهود سير صمويل هور ومستر أنتونى إيدن فى جنيف سياسة حكمة وتدبر و إنصاف وقد بح صوتهما على منابر العصبة فى الدفاع عن حقوق الضعفاء ونصرة المظلومين ، فهل لبريطانيا وشعب بريطانيا أن يصغوا أيضاً إلى صوت مصر وقد بادرت إلى تنفيذ العقوبات وشكرتها عصبة الأمم شكراً رسمياً [1] وقد ضحت مصر بما تستطيع بذله من مال ومعونة فى الأرض والبحر والهواء . وسوف تضحى بأكثر من ذلك

---

(١) تلغراف رئيس عصبة الأمم إلى وزير خارجية مصر فى ٤ نوفبر سنة ١٩٣٥

إن مصر لا تريد أن تنتهز فرصة سانحة إذا كان فى انتهاز هذه الفرصة ما يغضب أصدقاءها ، ولكن العدل والحق والعرف وحسن الذوق (وقد اشتهرت انجلترا بكل هذه) تقضى جميعها أن يقدر هؤلاء الأصدقاء هذا « الموقف المصرى المشرف » . وفى الحق أن عملاً كهذا الذى نؤمله من جانب انجلترا يعلى شأنها فى العالم كله ويكون بمثابة ضمان للسلم والطمأنينة وله قيمته فى السياسة الدولية وفى التاريخ الإنسانى . ان مصر لا تريد أن تبرق أو ترعد ، ولكنها تريد إقرار الحق ووضع الأمور فى مواضعها فى هدوء وسكينة ولا لوم عليها ما دامت أمم العالم وفى مقدمتها بريطانيا العظمى تريد أن تضع الندى فى موضع السيف ، وأن ترفع صوت الحق فوق صوت المدافع ، وتعلى «همسة العدالة» على أزيز الطائرات . وفى نظرنا أن مصر التى تريد أن تتحد لتقابل الحوادث بصدر رحب ووجه سمح وفم باسم ، سوف تكون فى صداقتها أنفع وأجدى وأغلى وأعلى وأرفع منها غاضبة أو مكشرة عن أنيابها ، وقد عرفت قيمة الصبر على الشدائد ، وحاشا أن تتقدم مصر فى « موقفها المشرف » بغضب أو فتنة أو تحاول الظهور بغير مظهر الود والمحبة . وأن مصر قد عرفت بالتجربة والاختبار أن ميدان السلم أوسع من ميدان الحرب وأفسح . وانجلترا علمت العالم أن الأكاليل التى تنال بعد النصر الأدبى أسمى وأشرف وأثمن مما ينال بالنصر الحربى وانجلترا تعلم أن هذه الرغبة تتردد فى نفوس المصريين جميعاً لا يشذ منهم حاكم ولا محكوم . ومصر تنتظر بفارغ الصبر أن تسمع كلمة بريطانيا ، لا فى إذلالها و إخضاعها ولكن لمناصرتها والأخذ بيدها ، ومصر لا تطلب هذا خوفاً ولا جبناً ، ولكنها تطلبه نتيجة للتعقل والتبصر . لقد قيل إن صدقاً و إن كذباً إن انجلترا تعتبر انتهاز هذه الفرصة فاجعة عظمى، ولكن هذا يصح إن كانت مصر تبطن غير ما تظهر ، والحقيقة أن مصر مخلصة

فى حسن نيتها ، طاهرة اليد والذيل من الغدر وتبييت الشر ، بعيدة البعد كله عن إرادة السوء ، وما على بريطانيا إلا أن تبر بعهدها وتفى بوعدها الشريف وتتم تصريح ٢٨ نوفمبر راغبة مختارة ، لا مرهقة ولا مرغمة ، وحينئذ تعتز انجلترا بعملها و بحليفتها القديمة الحديثة ، وصديقتها المخلصة مصر !

ليس لمصر مطالب بالمعنى الذى يسبق إلى الذهن السـياسى ولكنها تريد متممات لحياتها الدولية . تلك المتممات التى توثق علاقتها بالدول وتقوى ما بينها و بين بريطانيا من الروابط ، دون أن تمس مصالح الامبراطورية بسوء ، ومصر تعلم حق العلم أنها لا تستطيع ذلك وهى لا ترغب فيه .

وقد رأت بريطانيا ورأت مصر أن هذه المملكة الوسط بين القارات الثلاث لا بد أن تكون ميداناً ذا شأن فى كل حرب تقع بين دول أوربا وقد قال عنها بونابرت « مصر أهم مملكة فى العالم » لهذا السبب ولما كان سلطان القانون الدولى آخذاً فى النمو والتجلى فمصر تود أن تتقى أخطار المستقبل بانضمامها إلى عصبة الأمم .

هذه رغبة الأمة المصرية قد أفرغناها فى أصدق قالب وشرحناها بأوجز أسلوب وقديماً قالوا خير القول ما قل ودل ، وخير البر عاجله . وحديثاً قالوا إن سوء التفاهم وخيم العواقب لأنه مجلبة لسوء الظن ، لقد كان المعروف وصنع الجميل منجاة لصاحبهما بين الأفراد ، وها هى انجلترا تود أن تجعل المعروف وصنع الجميل قانوناً عملياً بين الأمم ، تريد بريطانيا أن تغمد سيفها لتعمل بالحسنى فهل تقصر الحسنى على من تشاء ، وتسل السيف فى وجه من يخطب ودها و يرعى عهودها و يناصرها فى أحرج الأوقات ؟

الكلمة الآن لبريطانيا العظمى ! !

# ملحقات الكتاب

(١) الآيات القرآنية التى لها علاقة بالملك سليمان وبلقيس ملكة سبأ .

(٢) نص المادة ١٥ من ميثاق عصبة الأمم .

(٣) جهاد هنرى باربوس فى سبيل الحبشة قبيل وفاته .

(٤) مراجع الكتاب .

(٥) بيان الأبواب والفصول .

بسم الله الرحمن الرحيم

# من سورة النمــــل

(١) وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟

(٢) لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين !

(٣) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين

(٤) إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم

(٥) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون !

(٦) ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض و يعلم ما تخفون وما تعلنون ؟

(٧) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم !

(٨) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . . .

(٩) إذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون !

(١٠) قالت يأيها الملؤ إنى ألقى إلى كتاب كريم !

(١١) إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم !

(١٢) ألا تعلوا على وأتونى مسلمين !

(١٣) قالت يأيها الملؤ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون

(١٤) قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين

(١٥) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهـا أذلة وكذلك يفعلون . . .

(١٦) و إنى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون !

# ٢ – نص المـادة ١٥ من ميثاق عصبة الامم

تنص المادة ١٥ من ميثاق عصبة الأمم التى دار بحث مجلس عصبة الأمم حولها فى اجتماعاته الأخيرة ، فى الفقرة الأولى على أنه إذا ما قام خلاف بين اثنين من أعضاء عصبة الأمم وكان من المحتمل أن ينشأ عنه قطع العلاقات بينهما وكان هذا النزاع مما لا يخضع لاجراءات التحكيم أو أى تسوية قضائية مما تنص عليه المادة ١٣ من الميثاق يتفق أعضاء العصبة على رفع النزاع الى مجلس العصبة ويكفى لهذه الغاية أن يخطر أى الطرفين بهذا النزاع سكرتير العصبة العام الذى يتخذ كل الترتيبات اللازمة لعمل تحقيق كامل .

وتنص الفقرة الثانية على أنه يجب على طرفى النزاع أن يبلغا السكرتير العام فى أقرب أجل ممكن وجهة نظرهما مؤيدة بالمستندات وللمجلس العصبة أن يأمر بنشرها توا .

وتقول الفقرة الثالثة : يعمل مجلس العصبة للوصول الى تسوية فاذا نجح ينشر على الشكل الذى يراه مناسباً ملخصاً للوقائع ومغزاها ونص التسوية .

وتقول الفقرة الرابعة : فاذا لم تنجح مساعى التوفيق ينشر المجلس تقريراً وافق عليه الأعضاء بالاجماع أو بغالبية الأصوات لتعرف ظروف النزاع والتسوية التى يوصى بها المجلس والتى يراها أعدل وأكثر ملاءمة فى الموضوع .

وتقول الفقرة الخامسة : لكل عضو من أعضاء العصبة الممثلين فى المجلس أن ينشر ملخصاً لوقائع النزاع ورأيه فيه .

وتنص الفقرة السادسة على أنه اذا ما وافق المجلس على التقرير بالاجماع مع استبعاد أصوات طرفى النزاع ، يتعهد أعضاء العصبة بأن لا يلجأوا إلى الحرب ضد أى طرف يتنزل على نصوص الاتفاق .

وتنص الفقرة السابعة على أنه اذا ما عجز المجلس عن الحصول على موافقة أعضائه من غير طرفى النزاع فان أعضاء العصبة يحتفظون بحقهم فى التصرف طبقاً لما يرونه ضرورياً لصيانة الحق والعدل .

وتقول الفقرة الثامنة : اذا ما ادعى أحد طرفى النزاع أن هذا النزاع تبادل مسألة ينص القانون الدولى على أنها من اختصاص هذا الطرف المطلق وأقر مجلس العصبة هذا الطرف على رأيه ، يسجل المجلس هذه الحقيقة فى تقرير لا يضمنه أى توصية بحل .

وتقول الفقرة التاسعة : لمجلس العصبة فى كل الأحوال الواردة فى هذه المادة أن يحيل النزاع على الجمعية العمومية لعصبة الأمم كما أن لكل من طرفى النزاع أن يرفعه إلى الجمعية العمومية فتصبح مختصة فى البت فيه . على أنه يجب أن يقدم هذا الطلب فى ظرف اسبوعين من تاريخ عرض النزاع على مجلس العصبة .

وتقول الفقرة العاشرة : فى كل القضايا التى ترفع للجمعية العمومية لعصبة الأمم تطبق نص المادة ١٢ من الميثاق ونص هذه المادة « وتسرى كل الاجراءات التى تتبع أمام مجلس العصبة ومن المسلم به أن لكل تقرير تضعه الجمعية العمومية بموافقة ممثلى الدول المشتركة فى عصبة الأمم الممثلة فى المجلس ، كل النتائج والآثار التى تكون لتقرير يصادق عليه مجلس العصبة باجماع أراء أعضائه مع استبعاد طرفى النزاع » .

# جهاد هنرى باربوس لنصرة الحق

## فى سبيل الحبشة قبيل وفاته

لا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر بطلاً مجاهداً وهادياً انسانياً جليلاً وهو المأسوف عليه هنرى باربوس الكاتب الفرنسى العظيم الذى قضى نحبه فى سبتمبر من هذا العام وهو يلهج بذكر الحبشة وضرورة مناصرتها والذود عنها فكان له الفضل الأول فى لفت أنظار العالم وعصبة الأمم الى المشكلة الحبشية وقد قدم بنفسه للعصبة عريضة شرح فيها وجهة نظره ونظر أصحابه وأتباعه . وقد قدم هذه العريضة إلى العصبة بنفسه فى مايو سنة ١٩٣٥ قبل وفاته بثلاثة أشهر بوصفه مندوب اللجنة العالميـة لمكافحة الحرب والفاشيزم ونشرها قبل اجتماع العصبة فى ٤ سبتمبر . وقد جاء فى هذه العريضة أن استقلال الحبشة فى خطر من دولة أوروبية قوية ، لم تتورع عن مهاجمة شعب ضعيف مع أن كليهما عضو فى عصبة الأمم ، ولكن هذا الشعب الضعيف يضحى بوجوده فى سبيل حريته ، واستقلاله المضمون بمعاهدتى ١٩٠٦ و ١٩١٥ وبدخوله فى عصبة الأمم فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٣ وقد قدمت الحبشة الدليل على حبها للسلم فى التقرير الذى كتبه الكولونيل كليفورد وأعضاء اللجنة البريطانية لتعيين الحدود المؤرخ ٢٠ مارس سنة ١٩٣٥ إلى العصبة التى قالت فيها إنها لا تملك قوة حربية تعادل قوة جارتها القوية فتلجأ للعصبة لتحمى حريتها وأرضها وانها تخشى عواقب الاستعداد الحربى الايطالى القائم على قدم وساق . وقد طلب هنرى باربوس أن تفحص العصبة

النزاع فى صراحة وعلنية فى جلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥ وان تكلف إيطاليا سحب جنودها من موضع الخلاف و إن تقرر تسوية المسألة بالمودة والمسالمة وأن ينشر قلم كتاب العصبة كل ما دار من المخاطبات والمراسلات بخصوصها .

وكان آخر أعمال باربوس دعوته لمؤتمر دولى غايته حماية نصوص القانون الدولى ونظمه وحماية الشعب الحبشى والدفاع عن السلم العام فى أنحاء العالم .

---

تمّ بعـون الله وحسن توفيقه



# مراجع هذا الكتاب

١ — سياحة جيرفيه كورتلمون . . . . . . C. Courtellemont
٢ — مع غوردون فى السودان . . . . . . . . . W. S. Blunt
٣ — تاريخ الاستعمار الأوروبى. . . . . . . . . P. Dubois
٤ — مركز مصر الدولى. . . . . . . . . . . J. Cocherie
٥ — أعلام المقتطف لفؤاد صروف .
٦ — السيرة النبوية لابن هشام ومرغليوث والدكتور هيكل .
٧ — الأغانى للاصبهانى .
٨ — تاريخ عمرو بن العاص للاستاذ حسن إبراهيم .
٩ — تاريخ اسماعيل باشا للايوبى .
١٠ — دائرة المعارف البريطانية .
١١ — تاريخ العالم لفريق من العلماء باشراف ج . ه . ولز .
١٢ — مصر المسلمة والحبشة المسيحية تأليف كولونيل داى الأمريكى .
١٣ — مصر الحديثة تأليف دى جورفيل ، نسخة إنجليزية .
١٤ — عصبة الأمم ومحاكم العدل للاساتذة J. Scelle و Morellet .
١٥ — الانتقام لمدام جوليت آدم .
١٦ — انحلال الدولة الرومانية وسقوطها لجيبون .
١٧ — واجبات الانسان لجوزيبى متزينى .
١٨ — رحلة شفيق باشا المؤيد إلى الحبشة فى سنة ١٨٩٦ .
١٩ — مجلة Europe وكورترلى رفيو ومجلة مركوردى فرانس وجريدة Monde وجريدة Lu وتاريخ حياة هنرى باربوس والطان وجورنالى دى إيطاليا وغيرها .
٢٠ — عصبة الأمم لـ Openheim .

# بيان الفصول والأبواب



١/٢٠٠٠/١١/١٩٣٥

